

جامعة الجزائر 3

كلية علوم الإعلام والاتصال

قسم علوم الإعلام

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الاولى ماستر

تاريخ الجزائر الثقافي

تخصص: علوم الإعلام

إعداد الدكتور: عبد الحميد ساحل

السنة الجامعية 2022/2021

عنوان الوحدة : وحدة تعليم استكشافية

المادة : تاريخ الجزائر الثقافي

مضمون المادة :

تهدف هذه المادة إلى تعريف الطلبة بمرحلة مهمة من تاريخنا الوطني في أبعاده الثقافية . و سوف تحاول المادة التركيز على ملامح المقاومة الثقافية بإعتبار أن الفترة المتناولة تدرج خصوصا في السياق الإستعماري الفرنسي , الذي حارب المقومات الثقافية و الحضارية للشعب الجزائري .

الأهداف العامة للمادة :

-الحصول على رصيد معرفي تاريخي حول ملامح من المستوى الثقافي و الحضاري في الجزائر .

- التعرف على شخصيات جزائرية فاعلة ذات توجهات ثقافية و فكرية و إصلاحية .

- التعرف على مؤسسات ثقافية و تربوية كانت تشكل فضاء لمختلف الجهود قصد التنوير و الإصلاح و التثقيف التوعوي في مجالات : (التعليم , الصحافة , المسرح , الفن الموسيقي) في سياق إستعماري مناهض للوعي الوطني و الثقافي .

محتوى المطبوعة :

مقدمة :

المحور الأول : ملامح من البيئة الثقافية و الاجتماعية في الجزائر قبل 1830 .

-مؤسسات ثقافية و دينية .

- مؤسسات تعليمية .

- مؤسسة المكتبات .

المحور الثاني : سياسات إستعمارية : إجتماعية و ثقافية .

-السياسة التعليمية الإستعمارية .

المحور الثالث : شخصيات ثقافية من القرن 19 م . حمدان بن عثمان خوجة (1773-1845) : الأبعاد الفكرية و الثقافية .

- البعد الإجتماعي و الديني .

- أبعاد فكرية سياسية .

المحور الرابع : شخصيات ثقافية جزائرية من القرن 19 م . الأمير عبد القادر (1808-1883) : أبعاد فكرية و إصلاحية

- جهود إصلاحية سياسية .

- البعد الفكري و الأخلاقي و الإجتماعي .

المحور الخامس : البيئة الثقافية بالجزائر في الربع الأول من القرن 20 .

-بروز نخبة جزائرية مثقفة .

- ظهور الجمعيات الثقافية .

المحور السادس : الصحافة كوسيلة إصلاحية وثقافية .

-ملاحم من الصحافة الجزائرية (أهم الفاعلين الرواد في النشاط الصحفي)

- نموذج : عمر بن القدور الجزائري (1886-1932) : صحافيا و مفكرا إصلاحيا .

المحور السابع : ظهور و تطور المسرح الجزائري .

-بدايات المسرح الجزائري و تطوره .

- نموذج ثقافي مسرحي : مصطفى كاتب (1920-1989) : المسار الفني المسرحي

المحور الثامن : : ملامح من الفن الموسيقي الجزائري

رائد أغنية (الشعبي) الحاج محمد العنقا (1907 - 1978)

-الواقع الإجتماعي و الأخلاقي في الإبداع الفني للعنقا .

- إثراء التراث الشعري الغنائي .

مقدمة :

من خلال هذه المطبوعة الخاصة بوحدة تاريخ الجزائر الثقافي نحاول تناول هذا الموضوع المعرفي التاريخي في الهام في شكل محاضرات لتعريف الطلبة بمرحلة مهمة من تاريخنا الوطني في أبعاده الثقافية باعتبار أن الفترة المتناولة تندرج خصوصا في السياق الإستعماري الفرنسي الذي حارب كل المقومات الثقافية و الحضارية للشعب الجزائري .

و هذه الوحدة السادسة خلال السنة الأولى ماستر , تخصص سمعي-بصري , كمادة مصنفة ضمن الوحدات الإستكشافية . تمكن الطالب في تخصص علوم الإعلام و الاتصال , من اكتساب معطيات معرفية هامة في هذا المجال .

تصدر هذه المطبوعة في شكل محاضرات مع ثمانية محاور أساسية ذات علاقة بالتخصص المعرفي هذا .

تناولنا في المحور الأول في هذه المطبوعة عنصرا هاما تمثل في مظاهر من البيئة الثقافية و الإجتماعية في الجزائر قبل 1830 , كمدخل عام تقدم فيه معطيات تاريخية و عرض ملخص لأهم المؤسسات الثقافية و الإجتماعية قبل الإحتلال الفرنسي , الذي سوف يسعى لتهدديهما و إحتوائها , و كانت بمثابة بنى ثقافية و حضارية للشعب الجزائري .

أما المحور الثاني فتناولنا فيه موضوع السياسات الإستعمارية الثقافية و الإجتماعية , مع التركيز على السياسة التعليمية الإستعمارية التي تخدم مصالح الإدارة الإستعمارية و غزوها العسكري المصاحب للغزو الأخلاقي للشعب الجزائري .

و المحور الثالث فتناولنا في سياق موضوع شخصيات ثقافية جزائرية من القرن 19 م ، شخصية حمدان بن عثمان خوجة , من حيث الأبعاد الفكرية السياسية و الثقافية .

و كان المحور الرابع قد خصصناه في سياق عرض نماذج لأعلام جزائرية في ميدان الثقافة و الفكر ، شخصية الأمير عبد القادر في بعده الفكري و الإصلاحية .

المحور الخامس خصص للحديث عن البيئة الثقافية بالجزائر في الربع الأول من القرن العشرين , وذلك للتذكير بممارسات السياسة الإستعمارية في محاولة تحقيق غزو ثقافي و اخلاقي و محاربة مقومات الهوية الجزائرية , لكن في هذه الفترة حاولنا إبراز دور نخبة جزائرية مثقفة , و كذلك الحركية الثقافية من الجمعيات و المؤسسات التربوية التي نشط فيها الجزائريون .

أما المحور السادس فتناولنا فيه ظاهرة الصحافة الجزائرية كوسيلة إصلاحية و ثقافية مع تقديم نماذج ذات دلالة ثقافية و تاريخية في ذلك السياق الإستعماري .

المحور السابع ، خصص لظهور و تطور المسرح الجزائري بإعتباره أحد أهم الملامح الثقافية الجزائرية في تلك الفترة , و حاولنا أيضا من خلاله إبراز مسار نموذج أحد رواده قبل الفترة الإستعمارية بعد استرجاع إستقلال البلاد ألا و هو مصطفى كاتب (1920-1989).

أما المحور الثامن و الاخير، فقد خصصناه للحديث عن ملامح من الفن الموسيقي الجزائري بصفة عامة مع محاولة إبراز أحد طبوع التراث الموسيقي الشعبي من خلال أحد رواده و هو الحاج امحمد العنقا (1907-1978).

المحور الاول:

ملاح من البيئة الثقافية و الاجتماعية في الجزائر
قبل 1830

المحور الاول

ملاح من البيئة الثقافية و الاجتماعية في الجزائر قبل 1830

مؤسسات ثقافية و دينية:

- مؤسّسة الأوقاف:

تعد مؤسسة الأوقاف في الجزائر من أهم المؤسسات التي قامت بمهام ووظائف إنعكس تأثيرها على الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري.

وقالت بعض الاحصائيات أن 62% من مجموع الأملاك العقارية و الزراعية في الجزائر كانت تابعة لهذه المؤسسات غدة احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830.

وهو دليل الاهتمام البالغ للجزائريين بحسب أموالهم وممتلكاتهم على مؤسسات المساجد والزوايا والنوادي العلمية-الدينية, وعلى الحرمين الشريفين (مكة, المدينة). ولقد كانت إدارة مؤسسة الأوقاف الإسلامية مستقلة عن الحكومة, إلا ما كان منها شبة رسمي. ولم تتأثر سلبياً بسلوكات أفراد السلطة الاستبدادية إلا قبل الاحتلال الفرنسي بسنوات.1

ولقد استفادت الهيئة الدينية (الإمامة و الإفتاء) والقضائية أيما استفادة من مؤسسة الأوقاف الإسلامية في العصر الحديث.

تعريف الوقف (الأحباس, ...)

يقوم هذا النظام على أساس شرعي وعلى صيغة قضائية إلزامية. حيث يكتب القاضي الوثيقة بحضور الواقف و الشهود مع تعيين مشرف عليه الوكيل + مع ذكر تاريخ الوقف وتوقيع الشهود و القاضي.

قد يكون الوقف عائليا بحيث تصبح الوكالة وراثية في الأبناء.

أو يكون تحت إشراف لجنة أو هيئة ذات مجلس يعمل على الإدارة الجماعية له:

كأوقاف مكة و المدينة أو مؤسّسة سبل الخيرات

ماهي الأهداف المحددة لاستعمالات الوقف؟

- الاهتمام بالوظائف الدينية المسندة لمختلف الأشخاص (أئمة, مؤذنين, منظرين).
- العناية بتدريس العلوم وبالعلماء و بالطلبة.
- رعاية الفئات الاجتماعية الهشة, الفقراء, اليتامى, الغرباء.. فقراء مكة و المدينة.
- العناية بالمنشآت الدينية الثقافية: المساجد المدارس, الزوايا والأضرحة.

أهمية الوقف:

من الناحية الدينية والعلمية و الاجتماعية مصدر تمويل رئيسي لمختلف مؤسسات هذه القطاعات. إذن المساهمة في تنميتها وصيانتها وتوسيع ممتلكاتها الوقفية ونماؤها. وهذا أيضا مصدر تحسين مبدأ التكافل الاجتماعي بين مختلف فئات المجتمع الجزائري: الفئات الميسورة الحال (الموظفون, الحاكم الباشا, العسكر, حرفيين, صناع, ملاك الأراضي.)

يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله:

الوقف في الحقيقة, كان بالنسبة للدولة, هو وزارة الثقافة و التعليم والدين و الشؤون الاجتماعية مجتمعة اليوم.2

أوقاف الجامع الكبير (مدينة الجزائر):

كانت إدارته ومداخله أحباسه هو الذي ساعد هيئة التسيير في أداء وظائف الجامع الكبير المتعددة. واستمرت الوضعية لغاية إستيلاء الإدارة الاستعمارية الفرنسية على أوقافه في بدايات الاحتلال للجزائر. وقدّرت بعض الإحصائيات الرسمية الفرنسية ممتلكات الوقف كالتالي:

125 منزلاً, 39 حانوتا, 03 أفران (كوشة, 19 بستاناً (بحيرة) 3 وكانت مداخل أوقاف الجامع الكبير من اكثر المداخل حجماً بعد أحباس مؤسسة مكة والمدينة. الوظائف: (المفاتي, المؤذنين, المنظفين, التأثيث, الفنادق..)

- مؤسسة سبل الخيرات:

كانت شبه رسمية, تديرها هيئة: يعينها الحاكم (الباشا بنفسه, وكانت تشرف على جميع الأوقاف المختلفة و المتصلة بالمذهب الحنفي: إنشاؤها الجامع الجديد, تبعية كل من جامع كتشاوة وجامع علي بتشين لها, وزاوية(مدرسة شيخ البلاد .. مساعدات للطلبة و الفقراء...)

- هيئة أوقاف مكة والمدينة:

يرى البعض أنها أقدم من مؤسسة سبل الخيرات. كان لها مجلس يسيروها تحت مسؤولية وكيل. لها وكلاء عبر الوطن. فائض أوقافها لفقراء مكة و المدينة,

- هيئة الأوقاف الأندلسيين و الأشراف:

- هيئة أوقاف بيت المال: رسمية: الباشا(الحاكم) يعين أحد القضاة ليعين أمين بيت المال,

خزينة وسياسة إدارة الزكاة و الأملاك المصادرة..4

-

- مؤسسة المساجد:

غالبية المساجد في الجزائر أثناء هذه الفترة كانت تتبع المذهب المالكي. (دخول المذهب الحنفي, مع قدوم العثمانيين بداية من القرن 16م.

كانت عناية الجزائريين بالمسجد بارزة في المجتمع الجزائري المسلم, ففي كل قرية أو مدينة إلاّ وتجد مسجدًا ما.

إنه فضاء للتواصل وللعبادة, و الأنشطة الاجتماعية والثقافية (مناظرات, إفتاء, إحياء مناسبات (رمضان مثلا). ومركزًا أساسيًا للتعليم و التدريس في الجزائر. و حوله تنتشر المدارس و الكتاتيب القرآنية, و الناس يشتركون في بنائها و صيانتها.5

- تقارير إحصائية:

قسنطينة زمن صالح باي (1771 / 1792) – حكمه في عهده: 5 مساجد كبرى (جوامع)

مسجدًا صغيرًا وثلاث عشرة زاوية + جانب الكتاتيب القرآنية الكثيرة.

قال أحد الفرنسيين المتخصصين (ديفوكس) : إنه في 1830 كان بمدينة الجزائر: 13 جامعًا و 109 مسجدا و32 ضريحًا و12 زاوية.

لكن قد تتعرض للإهمال والاندثار.. كانت أحيانًا بسبب سوء تسيير الأوقاف الإسلامية.

الزوايا:

من أبرز ملامح العهد الحديث بالجزائر الطرق الصوفية وكثرة الزوايا المخصصة لها ولقد عاش معظم أهل التصوّف في المدن و الأرياف وفي الصحاري. وهكذا أحيانًا نجد في كل حي من أحياء المدينة ضريحًا لوليّ ما: الجزائر, تلمسان, بجاية, قسنطينة, زواوة, المدية.

- مدينة الجزائر: زاوية عبد الرحمن الثعالبي, الولي سيدي محمد الشريف, سيدي أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري, سيدي السعدي, لالا تاكليت سيدي الكتاني, سيدي يعقوب...

- تلمسان: سيدي بومدين, زاوية محمد السنوسي, ضريح سيدي الحلوي..

- وتعتبر بجاية وزواوة, (تيزي وزو) من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا. قد تصل الى 50 زاوية لها أهميتها في التعليم ونشر الوعي الديني.

زاوية سيدي راشد , زاوية محمد التواتي (بجاية) زاوية سيدي امحمد الجرجري الأزهري,
زاوية بن علي الشريف (أقبو) سيدي منصور (آت جناد). , أحمد بن مالك. زاوية الأيلولي,
زاوية أحمد بن يوسف (أزفون).

الدور: قامت هذه المؤسسة الدينية الثقافية بأدوار عديدة.

- رباطات الجهاد ضد الأعداء
- ثورات: زوايا الأوراس, الدرقاوة, التجانية...
- دور تعليمي وتنويري: معاهد لتعليم الشبان فالزاوية أيضا كانت تشتمل على مسجد,
وإقامة للطلبة, وحتى مساكن للغرباء والفقراء.
- مارست الزوايا كذلك دورًا في التعليم بالمدن كزاوية القشاش (الجزائر) التي تحولت
إلى مدرسة عليا أو معهد وبقسنطينة: زاوية الفكون (عائلة عريقة وقديمة) لعبت دورًا
أساسيًا . وهناك في الغرب: زاوية مازونة المشهورة ..وزاوية محمد التواتي (بجاية)

المؤسسات التعليمية:

أشار الرحالة الفرنسي فاننوردي بارادي(de paradis) إلى وجود ثلاث جامعات الجزائر في
القرن 18م, حيث يتم تدريس مذهب مالك بن أنس, وهي حسب الدكتور سعيد الله ليست
جامعات بالمعنى الحالي, ويعتبر كمدارس عليا منها المدرسة القشاشية ومدرستي الجامع الكبير
وشيخ البلاد كما ميز البلاد الجزائرية آنذاك.9

- تعدد وكثرة المدارس الابتدائية في المدن و القرى.
- بالنسبة لتلمسان أحصى الفرنسيون لدى احتلالها حوالي 50 مدرسة ابتدائية ومدرستين
للتعليم العلي.
- قسنطينة: 90 مدرسة (لدى الاحتلال لها) و 7 مدارس للتعليم الثانوي و العالي. ومن
أشهرها المدرسة العنانية.
- أما في مدينة الجزائر بالإضافة لتلك المدارس العليا السابق ذكرها فقد إحصاء وجود
حوالي 100 مدرسة ابتدائية غداة الاحتلال, وكانت المدارس الابتدائية تعرف بالمسيد
أو المكتب.

مثلا: مسيد القصرية

أما مثلا بالجامع الكبير كانت توجد مدرسته العليا يلقي بها العلماء دروسهم, وقد التقى هناك
المؤرخ أبوراس الناصري بأحمد من عمار, ومحمد بن الحفاف وبمحمد بن الشاهد كما رواه
في سيرته.10

ووجدت مدارس أيضا بمازونة وبجاية وزواوة وبالجنوب

- كانت الزوايا و المساجد تؤدي هذه المهام التعليمية, وكانت المواد المدرسة في هذه المؤسسات منها العلوم اللغوية (النحو, البلاغة,..) العلوم الدينية : التفسير, الفقه, التوحيد, القراءات) كذلك التاريخ و الحساب و علم الفلك و الصيدلة.
- لكن العلوم التطبيقية أو التجريبية كان تدريسها قد تدهور أو بكاد يكون مفقودا, كالتطب, وقد لاحظ ذلك الأجانب الذي زاروا الجزائر في تلك الفترة كالطبيب الإنجليزي شو, والأمريكي جيمس ستيفنس في كتابة " الأسرى الأمريكيان في الجزائر" 1785

_12..1796

- مع ذلك فلقد اندهش الفرنسيين, لما احتلوا الجزائر من ظاهرة انتشار التعليم, وهذا ما أكده باحثون أجانب كإيغون تورين (turin) في دراستها: المجابهاة الثقافية في الجزائر المستعمرة...13
- دور محمد باي الكبير(1796) : بعد بداية شروعه بناء المسجد الأعظم بمعسكر, أنشأ بجانبه مدرسة لتعليم العلوم وجعل لها أوقافا ومرسين, وقصد العلماء , ثم أضاف إليها مكتبة عامة , كما أهتم بتجديد مدرسة "أولاد الإمام" الشهيرة البتلمسان.

مؤسسة المكتبات:

يرى الدكتور أبو القاسم سعد الله, بأن الجزائر في العهد الحديث, الفترة العثمانية كانت في مقدمة البلدان الأكثر توفرا على منشآت المكتبات بأنواعها العامة (مثلا التابعة للمساجد و الزوايا) أو الخاصة (التي يتوفر عليها الأفراد و العائلات).

- ساهمت كذلك هجرة الأندلسيين, في القرن 16م في ارتفاع وكثرة الكتب, فكانت مدينة الجزائر حسب شهادة أحد الرحالة المسلمين نموذجا لذلك, ونفس الشيء عبر عنه الباحثون الفرنسيون الذين رافقوا الجيش الفرنسي عند الاحتلال الجزائر وفي مختلف أنحاءها.
- كما أن رحلات الجزائريين, خاصة المرتبطة بالحج سلكت مصدرا آخر: اقتناؤها من: العراق, الحجاز, مصر, اسطنبول, المغرب الأقصى..14

- كما ازدهرت عملية إنتاج الكتب عن طريق أسلوب النسخ(دار القيسارية: الجزائر:مثلا) ويورد حمدان خوجة, الشخصية السياسية الجزائرية في كتابه " المرأة" معلومات عن أهمية هذه المؤسسة المكتبية الثقافية التي هدمها الجنرال كلوزال مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر...15

- كما أن التأليف: ساهم أيضا في تنمية المكتبات واعتبر المؤرخ د سعد الله أن حركته في هذا العهد كانت حية ونشطة.

- المكتبات و أنواعها:
- المكتبات العامة: مكتبة الجامع الكبير (العاصمة) مكتبة مدرسة الكتانية (قسنطينة).
- المكتبات الخاصة: كانت كثيرة جدا لدى مختلف الأفراد والعائلات.
- عائلة الفكون (قسنطينة) حسب البارون دو سلان (le baron de salanes)
- 4000 كتاب.16
- مكتبة عائلة الورتيلاني.
- مكتبة أبوراس النصري.
- محتوياتها: كتب دينية , اللغة (أشهر مدارس النحو: زواوة , الفلك , الحساب, الطب.
- مكتبات في: ميزاب عائلة الثميني واطفيش بتوات, زواوة, ورقلة.
- كما أن الكثير , ربما الآلاف من الكتب (المخطوطات) ثم مصادرتها أو جمعها من قبل الجيش الفرنسي حملة قسنطينة بوحدها: 800 مخطوطة ثم جمعها من الشوارع.17

هوامش

- 1- ساحل عبد الحميد: الفكر الإصلاحى لعمر بن قذور الجزائرى: دراسة تحليلية لمقالاته الصحفية. (رسالة دكتوراه) فى علوم الإعلام والإتصال- جامعة الجزائر – 3- 2012/2011 ص331.
- 2- سعد الله أبو القاسم): تاريخ الجزائرى الثقافى. دار الغرب الإسلامى- بيروت 1998- الجزء 1 ص 234.
- 3- التميمى (عبد الجليل) : وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر – منشورات المجلة التاريخية المغربية – عدد 5 تونس 1980 – ص 17.
- 4- سعد الله (أبو القاسم): تاريخ ج ث – ص 239.
- 5- سعد الله (أبو القاسم): المرجع نفسه ص 249.
- 6- العنترى (محمد صالح): تاريخ قسنطينة – مراجعة وتقديم حى بو عزيز- دار هومة – الجزائر 2005 ص 80.
- 7- سعد الله (أبو القاسم): المرجع نفسه ص 275
- 8- De paradi (venture) : alger XIII siecle Edition Bouslama tunis – 2 edit-p 158
- 9- سعد الله (أبو القاسم) : المرجع نفسه ص 275
- 10- أنظر: محمد أبو راس الجزائرى : فتح الإله ومُنْتَه فى التحدّث بفضل ربي ونعمته- حققه: محمد بن عبد الكرىم الجزائرى المؤسسة الوطنية للكتاب ج, 1990 ص 95.
- 11- Docteur Shaw : Voyage dans la regence d’Alger . Trad : D Mac cathy 2 edit. Bouslama
Tunis
- 12- جيمس ستيفنس : الأسرى الأمريكان فى الجزائر 1795- 1796 تر : على تابليت شالة – الجزائر -2007 رقم 13
- 13- Turin yvonne : Affrontements culturels dans l’Alger coloniale. Enal Alger .2 Edit
1983 p 116- 128
- 14- سعد الله (أبو القاسم): المرجع نفسه

15- أنظر: حمدان خوجة : المرأة- ترجمة وتقديم: د محمد العربي الزبيري – طبع SNED –الجزائر 1982 ص

.277

1C. La revue africaine : 1862(N32)-16

17- سعد الله (أبو القاسم) المرجع نفسه.

المحور الثاني:

سياسات إستعمارية : إجتماعية و
ثقافية

المحور الثاني:

سياسات إستعمارية : إجتماعية و ثقافية

إنه يمكن الحديث عن وجود سياسة استعمارية فرنسية تميّزت بالطابع الاجتماعي و الثقافي التي رافقت السياسة العسكرية لفرض الاحتلال بالقوة و بأشكالها المختلفة ، على الشعب الجزائري بداية من شهر جوان 1830.

جاء في أول بيان سياسي فرنسي موجه للشعب الجزائري ، ما فحواه احترام المؤسسات الدينية الاسلامية بعدم الاعتداء عليها أو المساس بها و كذلك عدم التعرض أو التدخل في شؤون العبادات ، و هذه فقرة من هذا البيان بلغته (... ثم إننا نضمن لكم أيضا و نعدكم وعدا مؤكدا غير متغيّر و لا متأوّل أن جوامعكم و مساجدكم لا تزال معهودة معمورة على ماهي عليه الان عليه و أكثر و أنّه لا يتعرض لكم أحد في أمور دينكم و عبادتكم)(1).

إلا أنّ السياسة الاستعمارية كما سنرى سوف تأخذ مسارا مغايرا في التحكم و إدارة هذه المؤسسات ، و من أبرز مظاهرها إنشاء ما تم تسميته بـ "المكتب العربي (bureau arabe

الذي بصطبغ بالسمة العسكرية المخبراتية البحتة قال شارل ريشارد (richard) سنة 1848 : (يجب على المكتب العربي أن تكون لديه قائمة قائمة بالأشخاص المشبوهين ضمن كلّ قبيلة ، و أن يكون على معرفة تصرّفاتهم ...)

كما قام بتحديد نوع هؤلاء الأشخاص ، مع العلم أن المشرف على هذه المكاتب يكون في الغالب ضابطا عسكريا ، و أهمّ هؤلاء الأشخاص (... المرسلون القدامى للأمير عبد القادر ... و شيوخ الطرق الدينية و المرابطون المشهورون ، و الدراويش المنتبؤون و الأغنياء الرافضون الإحتكاك بنا و الشيوخ المشهورون بوقارهم و علمهم ، و الذين هم في عزلة منشغلين بالمخطوطات نقلا أو تأليفها و تتطلب مراقبة دائمة و حديّة لأنها الشرارات الكامنة في الظل ، قد تشعل الحريق بمجرد هبوب الريح...)(2)

و هكذا نجد من الناحية التاريخية ، أن قطاع التعليم بمختلف أشكاله ، إضافة إلى حالة التدهور التي عرفها ، سوف يخضع حتى الأئمة "الموظفين" في المساجد المتحكم فيها إداريا إلى عملية مراقبة مستمرة. و على سبيل المثال ففي 1907 و في مساجد الجزائر كان كل من الإمام عبد الحليم بن سابة الإمام و المدرس بالجامع الجديد و بالقسم العالي لمدرسة الجزائر و الإمام العام مصطفى كمال بن الخوجة بجامع سفير مراقبين في دروسهما و يتم تقديم تقييم لتوجهاتهما الاصلاحية (3) أو مثلا تقرير خاص بطبيعة الكتب المقررة في التدريس بمدرسة الكتانية (بقسنطينة) سنة 1913.(4)

السياسة التعليمية الاستعمارية :

مباشرة بعد احتلال العاصمة الجزائرية و زحف الجيوش الفرنسية في البلاد الجزائرية ، كان يجري إحصاء جميع المرافق الدينية و الثقافية كمنشآت المدارس و المساجد و الزوايا بغرض تحويل بعضها لنشاطات أخرى تخدم الوجود الاستعماري ، في شكل ثكنات عسكرية أو مخازن للجيش أو مستشفيات له أو إلى كنائس كاثوليكية يجري تهديمها من طرف سلاح فيالق جيش المهندسين ، لإحداث الطرقات الجديدة و الساحات الكبرى و التحكم العسكري في المدن التي يسكنها الجزائريون.(5)

كما أكدت التقارير الرسمية للإدارة الاستعمارية واقع تراجع عدد هذه المؤسسات التعليمية و الثقافية في السنوات الأولى للاحتلال و هذا التقرير حول التعليم العمومي الجزائري. جاء فيه أن مدينة الجزائر التي كان يسكنها 92 ألف نسمة كان بها 24 مسيدا (أي مدرسة ابتدائية حسب التسمية الجزائرية) تستقبل 600 تلميذ (1840) لكن في 1846 لم يبق منها سوى 14 مسيدا (مؤسسة) ب 400 تلميذ كما أشار التقرير إلى تردّي الحالة الاجتماعية للمعلمين الذين كانوا في السابق يحظون بالرعاية (6). و قد أشرنا آنفا إلى دور مؤسسة الأوقاف الجزائرية في تسيير و رعاية مختلف هذه المؤسسات .

ثم إنّ تهديم المساجد و الزوايا و غلقها (خصوصا ببلاد القبائل) التي كانت تسهم في الحركية التعليمية و الثقافية أثر عليها بالنسبة للجزائريين.

يقول المؤرخ الفرنسي شارل روبيير أجرون : (إن العديد من مدارس الزوايا تمّ إغلاقها {خصوصا ببلاد القبائل} كما فرض على مدارس الزوايا ، المرخص لها بالتدريس أن لا تفتح أبوابها للتلاميذ خلال أوقات الدراسة الرسمية في المدارس الابتدائية الفرنسية). (7)

كما أشار التقرير الإداري الاستعماري الذي أشرنا اليه سابقا إلى أن الحملات العسكرية الفرنسية عملت على تشتيت المعلمين و (الطلبة) بزوايا بلاد القبائل . و لاننسى انخراط هؤلاء في حركات المقاومة المسلحة الجزائرية في جميع مناطق الوطن . و أن ذلك الوضع كان سيسمح للإستراتيجية الاستعمارية الثقافية بانتشار الجهل و الخرافات و زعزعة المعتقدات الدينية كما دعا الى ذلك المثقف الفرنسي أليكسي دو طوكفيل. (8)

و هناك نقطة مهمّة و هي أنّ حتى الكتب التي كانت تشكّل قاعدة للتعليم فقد قضى على جانب كبير منها. (9) و هنا نتساءل عن الحجج "الثقافية" التي استعملها جيش الاحتلال الفرنسي لتبرير أحد جوانب الاحتلال الذي هو نشر الحضارة . و في هذا الصدد لا بد أن نذكر النقد السياسي اللاذع الذي وجّهه الجزائري حمدان بن عثمان خوجة سنة 1833 للجنرال كلوزيل الذي أمر بتهديم مكتبة القيصرية في مدينة الجزائر .

يقول أحد المثقفين الجزائريين في هذا الصدد : إن المبدأ الحضاري ، الذي كان قد برّر به دوبرمون (de Bourmot) الاحتلال الفرنسي للجزائر(10). فالتعليم العمومي الذي أريد توفيره للجزائريين كان قد تم تقليصه في مادته البيداغوجية و أيضا في غايته الاجتماعية . فبعض المواد المتصلة بالمقرّر العادي ، هي غائبة ، خاصة المواد ذات البعد الأخلاقي و السياسي . فنتيجة ما سمّي بالتعليم الأهلي (أي الخاص بالجزائريين) أنه لم تظهر لغاية 1914 أية نخبة مثقفة ذات التكوين الفرنسي بالجزائر. ففي مدة 80 سنة ، المستوى الفكري بالجزائر لم يستفد بتاتا من تعليم المدارس الفرنسية . فكان " التعليم الأهلي" منظما حسب مصالح السياسة الاستعمارية ، و ليس وفق احتياجات السكّان الجزائريين . ماتمّ تكوينه هو

حشد من وحدات المساعدين في مختلف المصالح العمومية ، المؤسسات الخاصة : خوجات (كتاب) البلديات المختلطة ، مترجمي البلديات ، خدام المعمرين الإقطاعيين ، و بعض مستخدمي القطارات و الكتاب العموميين.(11)

و أشار تقرير "التعليم العمومي الاسلامي" أي خاص بالجزائريين ، أنه طبقا للمرسوم الصادر في 7 أوت 1848 جعل هذا النشاط ضمن خصوصيات الدائرة الحربية ، إذ بعد الاحتلال بقوة السلاح أصبح التعليم وسيلة نفوذ قوية كان لابد من استعمالها حسب السياسة الاستعمارية لتقريب السكان المنهزمين من الفرنسيين ، و عليه كان التعليم محلّ عناية كاملة من الادارة الاستعمارية . و تمّ تقرير إنشاء مؤسسات (تعليمية لها صفة سياسية أساسا ، و تخضع لمراقبة السلطة العسكرية ، و قد تم تجسيدها بأمر من الوالي العام و ذلك بإحداث مدارس عليا بالبلدية ، تلمسان و قسنطينة (1850) بغرض توظيف المتخرجين. (12) أي توظيفهم في المهام التابعة لمختلف المصالح والمؤسسات التي ذكرناها. و تقول الباحثة إيفون تورين عن المدارس العليا هذه ، أنه خلال سنوات 1870-1880 كانت تشغل و تساعد في توظيف المستخدمين الاداريين الثانويين (من الجزائريين) في إدارة الشؤون المتصلة بالمسلمين الجزائريين (13)

هوامش

- 1- عبد الحميد زوزو:نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1900),ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر,2007-ص 26
- 2- عبد الحميد زوزو -ص 180
- 3- في عبد الحميد زوزو - ص232,233
- 4-انظر في هذا السياق دراسة
- 5- أنظر في نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر ,صفحة 213
- 6- شارل روبير أجرون:الجزائريون المسلمون وفرنسا(1871- 1919) ترجمة () دار الرئد للكتاب ,الجزائر 2007,الجزء 2 ,ص 569
- 7- in : Toqueville (alexis) ,De la colonie en Algerie ,Bruxelle ,1988 ,P 173
- 8 – حمدان بن عثمان خوجة :المرأة ,ترجمة محمد العربي الزبيري ,الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ,الجزائر ,,1982,ص 277
- 9- in : khaldi(abdelaziz),Le probleme algerien devant la conscience democratique .
Anep ,Alger ,2006 .
- 10- في عبد الحميد زوزو ,صفحة
11- Turin (yvone) :Affrontements culturels dans l algerie coloniale ,1830-1880 ,ENAL
Alger,1983,P250

المحور الثالث:

شخصيات ثقافية جزائرية من القرن

19م

حمدان بن عثمان خوجة: (1773-

1845)

المحور الثالث: شخصيات ثقافية جزائرية من القرن 19 م

حمدان بن عثمان خوجة: (1773-1845)

الأبعاد الفكرية و الثقافية:

إن هذه الشخصية التي خدمت قضية بلادها، أي قضية الجزائر، كادت أن تتعرض للإهمال والنسيان. فقراءة مؤلفاته، وخاصة كتابه " المرأة " الذي نشره بباريس سنة 1833، تجعلنا نندهش لوعيه الفكري والسياسي. وعي بحقائق ثقافية متعلقة ببلاده، ووعيه بحقائق اجتماعية وحتى سياسية الموجودة في محيط العلاقات الدولية الأوربية.

كشفت دراسات تاريخية هامة، رسائل وعرائض (1) تبرز الجهد الإعلامي السياسي الكبير، الذي كان يقوم به داخل الجزائر أو خارجها، في باريس وإنجلترا وإستمبول... إن عنصر المواجهة مع الإستعمار الفرنسي، جعل هذا الجزائري والمولود بالجزائر سنة 1773م، يستعمل مختلف الأساليب، محاولا الجهاد بقلمه الإصلاح الأوضاع، لكي تعود الجزائر دولة حرة كما قال. ووظف لهذا الغرض ثقافته الإسلامية والسياسية الحديثة. لقد ساعدته الرحلات التي كان يقوم بها في عدد من البلدان : إيطاليا، فرنسا، إسبانيا، تركيا وأنجلترا، على الإطلاع على ثقافتها وعلى الإعجاب ببعض السياسات الحكومية.

فراه فيما بعد، كيف ينتقد ما آلت إليه إدارة حكام الجزائر. يقول الأستاذ محمد العربي الزبيري : " إن الذي يدرس المؤلفات العديدة التي تركها لنا حمدان خوجة، لن يتردد لحظة واحدة في اعتبار الرجل من أكبر مفكري العالم الإسلامي الذين ظهوروا في القرن التاسع عشر ميلادي. وتتجلى دعوته وأفكاره واضحة في دعوته لليقظة الشاملة ومن خلال نظرتة للحكم واتجاهاته القومية..."(2).

إذا تطرقنا للنقد السياسي الموجه لإدارة الحكم في الجزائر قبل الإحتلال الفرنسي فسنجد أن قبل الإحتلال الفرنسي، كانت هذه الشخصية تعيب على نظام الحكم، خاصة مع نهاية القرن الثامن عشر، تجريده للديوان من كل سلطة وقوة، خاصة وأنه بمثابة مجلس حكومي، أنشئ لمراقبة أعمال الباشوات (الرؤساء)، الذين أصبحت السلطة في يدهم مطلقة. ويرى حمدان خوجة أن من عوامل انحطاط الحكم السياسي الجزائري آنذاك، هو سياسة (تتريك) المناصب والمسؤوليات.

لأن أهم الوظائف في الدولة والوزارات لا تعطي، لا للكراغلة ولا للسكان الأصليين، إنما للأتراك: ثم انتقد ظلم وتعسف رجال الحكم، واعتبر سياسة بناء الجيش الجزائري في تلك

الفترة خاطئة. حيث غدت تشكيلته تتكون من الجنود الذين يؤتى بهم من تركيا، لا من السكان الأصليين أي الجزائريين. لهذا نراه في مراسلة مع السلطان العثماني محمود الثاني، يؤكد على هذا الجانب المهم بالنسبة إليه. كما اهتم بنقد السياسة المالية واعتبرها أحد الأسباب الرئيسية للحرب فرنسا مع الجزائر وسقوط حكومتها.

البعد الاجتماعي والديني:

أما في الجانب الاجتماعي والديني، فيوجه انتقاداته للإنحرافات التي مست معتقدات عامة الناس، الذين غرقوا في سلوكات ليست من صميم الدين الإسلامي، فأصبحوا في درجة تأليه وعبادة الأشخاص الدعين للولاية والبركة ويتسمون بالمرابطين. يقول " : إن الاعتقاد الشعبي إزاء المرابطين، أساسه الجهل والتعصب والمبادئ الخاطئة، وليس من السهل إصلاحها. إن هذا النوع من العبادة غير معقول، خاصة وأن مبادئ الدين الإسلامي، لا تسمح يتأليه الادميين 3. "أما وعيه الاجتماعي جعله يتفطن في تلك الفترة لجانب طغى فيما بعد على توجهات الإصلاحيين، ألا وهو محاربة الإنحراف الديني. إنه لا يقف عند هذا، إنما يشير في موضع آخر إلى السلطة "التي يتمتع بها هؤلاء "المرابطين" يقول...": ان وجود هؤلاء "المرابطين في المجتمع الإفريقي نعمة، اذ بمجرد ما لهم من نفوذ الى هذه الشعوب، يسكنون أسلحة الخصوم ويمنعون أراقة الدماء. وأن سلطانهم على القبائل الجاهلة المحدودة النظر لعجيب" ... 4

هذا السلوك المنتقد لهذه الإنحرافات وللتعصب، نراه باق فيه حتى بعد نفيه من الجزائر و استقراره باستامبول، أين ألف سنة 1836 كتابه : "إتحاف المنصفين والأدباء عن الإحتراس من الوباء" (5).

والذي كان يهدف به إلى " تطبيق أفكاره التي حث فيها العالم الإسلامي على اليقظة والأخذ بمعالم الحضارة الأوروبية... فقد ناشد السلطان العثماني و أولي الأمر أن يبادروا الى إصلاح كل ما من شأنه أن يلحق ضررا بالبلاد الإسلامية ...6

أبعاد فكرية سياسية:

ثم إن الدارس لجهوده يلاحظ تلك النزعة الوطنية، التي اشتدت عنده بفعل تجاوزات وتعسف الإدارة الإستعمارية الفرنسية بالجزائر. إن مقاومته للاحتلال كشفت عن وعي ذي طابع قومي إسلامي، وبالتالي وعي متقدم ومبكر، بدفاعه عن الأمة الجزائرية وكيانها بين الأمم الأخرى. يقول الأستاذ مصطفى الأشرف معلقا على كتاب " المرأة " : "... هذا الكتاب يحمل في ثناياه روحا وطنية صادقة، بل نستطيع أن نعتبر حمد. أن خوجة الأب الروحي، إذا صح التعبير، للحركة القومية الحضرية المعاصرة في صورتها المعتدلة" (7).

قام حمدان خوجة بجهد إعلامي سياسي كبير، سواء بالجزائر أو بباريس للدفاع عن القضية الجزائرية. بنشر كتابه "المرأة" والذي كتبه باللغة العربية، وأعانه الليبي حسونة دغير على ترجمته للفرنسية، وكان ذلك سنة 1833. وهناك من اعتبر الكتاب هذا، أول بيان سياسي عام حول القضية الجزائرية.8

ومن أهم الأفكار التي طرحها، فكرة الأمة الجزائرية. بحيث يمكن اعتبار طرحها آنذاك مبكرا جدا ليس فقط بالنسبة للجزائر، وإنما في العالم العربي والإسلامي معا. إن التجاوزات ونقض معاهدة الجزائر من قبل فرنسا أثناء الاحتلال مباشرة، دفعته الى القيام بحركة تنديد واسعة، كان الغرض منها محاولة تحقيق الجلاء الفرنسي عن الجزائر، وبالتالي بناء دولة جزائرية مستقلة، عن طريق اجراء إصلاح سياسي شامل لإدارة الحكم في الجزائر. يقول حمدان خوجة في مقدمة «المرأة»: «إن كل ما وقع في الجزائر منذ ثلاث سنوات يفرض علي واجبا مقدسا يتمثل في التعريف بالوضع الحقيقي لهذا البلد قبل الغزو وبعده؟ ... إن مسألة الجزائر مسألة خطيرة لأنها تخص حياة أمة بأجمعها، تتكون من عشرة (10) ملايين نسمة وهي الآن من سوء الحظ في نقصان يتزايد من يوم الآخر بسبب الحرب. والبلاد يقودها الظلم والطغيان منذ ثلاث سنوات.9

كان يعتقد أن فرنسا بلد النداء بحقوق الإنسان، وبلد الحضارة، لا يمكن أن يصدر عن قادتها العسكريين مثل ذلك الظلم والنهب والسلب الذي تعرض له شعبه الجزائري، وفضح هذا في كتابه وفي رسائل الإعتراض والشكاوي، والتي تناقلت بعضه صحف فرنسية .

فما بعز ويعود فيلح كما سبق وأن أشرنا أن يكون بناء الجيش معتمدا على الجزائريين بصفة خاصة، لا على الجنود الإنكشاريين.

ويظهر أن ميزان القوى آنذاك دفع به للدعوة الى تعاون دول المغرب (تونس، الجزائر، ليبيا) لمواجهة القوى الخارجية، فقال: " إن التفاهم بين هؤلاء الحكام الثلاث، يشكل المعقل والقوة الأخيرة للبلاد". وأشار، في آخر الرسالة، على السلطان العثماني من أن يعين أحمد باي باشا على البلاد والذي كان يواصل المقاومة في شرق الجزائر.

يمكن القول، بأن حمدان خوجة واصل جهوده السياسية والإصلاحية حسب الظروف المحيطة بمسألة الجزائر آنذاك. وكان يؤمن بضرورة الإصلاح والتغيير فهو الذي قال: " إن كل عصر له متطلبات وخصائص جديدة، ولدي ظهور عادة حديثة، وجب التخلي عن القديم، حتى نتفادي حدوث اضطراب وقلق في الشعب، وحتى لا يعرقل ذلك تسيير دولا الإدارة الناجحة... 10

وتكللت جهوده بتشكيل "اللجنة الإفريقية" سنة 1833 للتحقيق في الصراع الدائر بين المقاومة والإحتلال منذ 1830. 11.

لكن تحقيقاتها و اتصالاتها بمختلف الشخصيات، ومنهم حمدان خوجة نفسه الذي تم استدعاؤه، خيبت آمال الجزائريين المنادين بالجلء، حيث أوصت اللجنة بالإبقاء على الجزائر.

كان خوجة يؤمن أن من حق الجزائريين أن تكون لهم دولة مستقلة وحررة. 12 لأنهم يشكلون أمة مثل الأمم أخرى. فيقول مخاطبا الأوروبيين : " إنكم تعطون الملايين لليونانيين وللبولونيين !!!...وتجدون تلك الشعوب بأموال الجزائريين ! إنكم تستغلون هذا البلد المسكين، ومع ذلك فإن الجزائريين أيضا أناس ... ما هي الذنوب التي اقترفوها لتسلط عليهم مثل هذه العقوبات، إن التاريخ سيسجل كل هذه الأعمال الشريرة !! ".

وأدرك أن فرنسا الإستعمارية لا تخرجها غير القوة، فبعث إلى صديق له بأزمير ليقنع السلطان العثماني للتدخل بإسم التضامن الإسلامي. قال : " أنا يا أخي وحدي، و أولادي و عيالي

تحت أيدي الكفار، وأنا في بلادهم لم أقصر فيما أقدر عليه بلساني وقلمي، ولو أن الكفار يعلمون شطر ما فعلت من تحريرات وتأليف ومراسلات مع الأجناس وغير ذلك... كل ذلك لأجل إنقاذ البلاد، لأكلوا لحمي و أوقعوا بي و الحمد لله سترني الله... أنا قد جاهدت بقلمتي والرعايا بسيوفهم، فجاهدوا بألسنتكم... فلماذا كان يسعني ما وسع غيري وأسكت، لكن يا أخي الغيرة الإسلامية حملتني على أن كتبت وخاطرت بنفسي وأعلمتكم... فالغوث الغوث لحالة أمة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) اعلموا سلطاننا بحال الإسلام والمسلمين... الغياث الغياث، الفرنسي لا يخرج من الجزائر إلا بقوة سلطانية... .

وهكذا، حتى وإن كان منفيًا، فإنه لم يتوان في الدعوة للتضامن من أجل مقاومة الإستعمار. فحسب الدكتور عبد الجليل التميمي فإن خوجة حينما كان باستامبول كتب للأمير عبد القادر الجزائري، يلح عليه المساعدة من السلطان العثماني، وكتب لأحمد باي من أجل توحيد جبهة المقاومة مع الأمير باسم الغيرة والنخوة الإسلامية 13.

ويرى الدكتور أبو القاسم سعد الله من أنه يمكن أن يعتبر خوجة من الناحية الموضوعية والتاريخية، ليس رائدا للوطنية الجزائرية فقط ولكن رائدا للقومية الإسلامية التي أصبحت في سنوات عديدة بعد ذلك حركة قوية. " وقد كان أيضا أول عربي مسلم يطرد من بلاده من طرف دولة أوروبية من أجل قضية قومية 14.

إن هذه الشخصية الجزائرية، لتتميز بخصائص يندر أن توجد في العالم الإسلامي آنذاك، أي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، بما حملته من غيرة الدفاع عن كيان أمة جزائرية، وبما نادى به ضد الإستبداد والحكم المطلق، مع حقوق الشعوب الضعيفة، ضد انتهاك حقوق الإنسان وحرياته الأساسية. وحاولت أن تقرب ما بين الحضارة الإسلامية و الحضارة الأوروبية المتقدمة. إن روح التجديد والإصلاح كانت تسري في جوانحه، ومنه

كانت تنطلق عبارات ربما كانت لا زالت غريبة على مسامع المسلمين آنذاك كحقوق الإنسان، المبادئ التحريرية، الحضارة، الحرية، الحكم الجمهوري، الأمة الجزائرية المستقلة الحرة...

هوامش:

1. أنظر مثلا: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (ليبيا – الجزائر- تونس) لعبد الجليل التميمي, الدار التونسية للنشر –

تونس-1972

2. محمد العربي الزبيري في مقدمة "المرأة" لحمدان خوجة ط2-SNED- الجزائر – 1982.

3. حمدان بن عثمان خوجة – المرأة – تعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري – sned - الجزائر 1982 ص.58

4. المصدر نفسه صفحة :.57

5. تحقيق محمد بن عبد الكريم – SENDالجزائر -1968.

6. عميراوي (حميد) حمدان خوجة: حياته وآثاره- مجلة الثقافية- الجزائر –العدد: 90- 1985.

7. مصطفى الأشرف: الجزائر : الأمة و المجتمع- ترحنفي بن عيسى ENAL – الجزائر – 1983-ص. 207

8. ALGER-1984 P :161 DJEGHLOUL (A.E.K) :ELEMENTS D’HISTOIRE CULTURELLE ALGERIENNE- ENAL-

9. حمدان خوجة: المرأة- الجزائر- 1982 (مصدر سبق ذكره)

10. عن التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي –ص. 170

11. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية – EVAC –الجزائر-1992 – ص51

12. حمدان خوجة في : المرأة-ص.:306

13. عن التميمي: بحوث ووثائق ص.218

14. سعد الله (أبو القاسم 5: الحركة الوطنية الجزائرية- دار الآداب – بيروت ط1-1969..

المحور الرابع:

شخصيات جزائرية ثقافية من القرن 19 م

الأمير عبد القادر الجزائري: (1808-1883م)

المحور الرابع: شخصيات جزائرية ثقافية من القرن 19 م

الأمير عبد القادر الجزائري: (1808-1883م)

أبعاد فكرية و إصلاحية:

عندما قام الأمير عبد القادر بمهام الدفاع عن الوطن وشرع فيها، كان يدرك تمام الإدراك بأنها مسؤولية عظيمة. وفي سبيل مواجهة القوة الإستعمارية وبالتالي النهوض بشعبه، كان عليه بذل مختلف الجهود، وعلى جبهات عديدة، أي إصلاح الأوضاع وبناء الدولة الجزائرية. لقد كانت هذه المسؤولية بالنسبة إليه ابتلاء، فقبلها بتبعاتها، وبايمان قوي، فهو الذي قال في كتابه "المواقف" : "إن الإنسان ما أعطي التحكم في العالم بما هو إنسان، وإنما أعطي ذلك بقوة إلهية. إذ لا تحكم في العالم إلا صفة حق لا غير. وهي للإنسان ابتلاء لا تشريف ..1

- جهود إصلاحية سياسية:

إن وعيه بأبعاد مواجهة القوة الإستعمارية وأطماعها، يستدعي إصلاح أمور سياسية وإجتماعية و إقتصادية. بمعنى أن واجب تحرير البلاد الجزائرية يحتاج الى مؤسسات منظمة، وإلى إيجاد الدافع الداخلي اليقظة حقيقية للشعب الجزائري.

نجد أن الأمير عبد القادر، أعاد النظر في التنظيم الإداري والعسكري للبلاد، طبقا للظروف الإجتماعية والجغرافية والإقتصادية للجزائر آنذاك. وفي هذا، لخص أحد الكتاب السياسة الإصلاحية التنظيمية بقوله: "إن الأمير قام بثورة في النظام السياسي لبلاده، فقد استعاض عن النظام التركي بنظام جديد : فقد أنشأ الجيش النظامي بدل الإعتماد على نظام المخزن، وأنشأ جيشا إقليميا ونظاما إداريا محكما...وبذل جهودا في خلق وحدة بين القبائل النافرة، إلى جانب القائد الذي كانت سلطاته تنفيذية، بعد أن كانت هذه تغطي على سلطات القاضي، وجعل القاضي يستمد نصوصه من القرآن، وبذلك انتعشت العاطفة الدينية لدى السكان، كذلك أحدث تطورا في نظام التعليم.2...

قام الأمير عبد القادر بوضع قانون عسكري، به تفاصيل حول الانضباط والرواتب وملابس الجنود، ووضع قوانين أخرى تتعلق بالوحدة الوطنية. يقول المؤرخ الإنجليزي هنري تشرشل : " خلال سنوات 1838 و 1839 م دفع عبد القادر خطته الإصلاحية إلى الأمام بسرعة فائقة. فجيّشه وشرطته ومدارسه ومحاكم قضائه المحلية كلها كان قد أعدها ونظمها بإحكام، كما أكمل حصونه وكانت مصانعه التي كان يديرها أوروبيون، تعمل بإتقان في أهم المدن الخاضعة له..."³

إننا نلمس وعي الأمير عبد القادر للهوة الفاصلة بين تخلف الشرق وتقدم الغرب الأوروبي، حينما سعى للاستفادة بالخبرة الأوروبية في ميدان الصناعات الحربية.

ومن أجل استمرارية النظام السياسي للدولة الجزائرية، أنشأ مجلساً للشورى، يكون له الدور الحاسم في القضايا المتعلقة بمصير الأمة. يقول ابنه الأمير محمد في كتابه " تحفة الزائر " :

رتب مجلساً للشورى يشتمل على أحد عشر عضواً من المجلة العلماء. وبعث رئاسته للعلامة وقاضي القضاة السيد أحمد بن الهاشمي...⁴ . فكل المسائل المتعلقة بإقرار الحرب والسلام كانت تناقش والرأي الأخير يبقى للجماعة. وإيماناً منه بمبدأ التشاور ، كان الأمير عبد القادر يستفتي حتى علماء خارج القطر الجزائري في مسائل خطيرة هدّدت الجهاد الوطني و المقاومة التحرير البلاد.

وأثناء مسيرته تلك، عمل على تجديد نظام الضرائب. بهذا يكون الجانب الإقتصادي قد أخذ بنصيبه من الإهتمام. خاطب يوماً إحدى القبائل الجزائرية قائلاً : "... كيف تستطيع أية حكومة، أن تواصل عملها بدون ضرائب، وكيف تستطيع أن تبقى بدون اتحاد وتأييد الجميع... "⁶.

فالأمة الجزائرية في مثل هذه الأوضاع تقتضي تأييد جميع أبنائها والدفاع عن كيائها يحتاج إلى التضامن الفعلي، لهذا أحدث ضريبة المعونة الإستئناف الحرب. وحارب من تراجع وهدد الوحدة الوطنية وامتنع عن دفع الضرائب أو استعان بالعدو الإستعماري. لكنه استعان بالفقهاء والعلماء في اتخاذ هذه الإجراءات كلما تحتم الأمر ، وهذا من أجل مصلحة الوطن

والدين. حيث أنه في سنة 1836 سأل علماء من فاس، عن موقفه من المسلمين الذين تواطؤوا ضده مع العدو أو انضموا إلى الكفار، بعد أن استعملوا معهم الحيلة السياسية 8.

إن مختلف هذه التدابير الإصلاحية، والتي مست ميادين عديدة تدل على سعي الأمير عبد القادر، لإيقاظ الشعب الجزائري وبعث الروح الوطنية، لتحرير البلاد وبناء الدولة الحديثة. لكن، كيف واجهت الإدارة الإستعمارية الفرنسية خطته الإصلاحية والسياسية؟. أحس رجال الدولة الإستعمارية بخطورة شخصيته المتشعبة بالروح الإسلامية السمحة، وبالتالي بالشعور القومي الوطني المتنامي عبر أطراف الجزائر. كان الأمير، وفي خضم السياق الإجتماعي والتاريخي آنذاك، شخصية متميزة ومجددة. لهذا استمرت الحكومة الفرنسية في إرسال الإمدادات، بعد أن أفلقتها المقاومة الطويلة المدى، و غير المتوقعة. أصبح جليا لديها، أن الأمير استطاع أن يحي روح المقاومة والجهاد من أجل تحرير البلاد، واستطاع أن يوحد غالبية الجزائريين، وأن يضع أسس وهياكل لدولة حديثة، تستلهم من إنجازات الحضارة الأوروبية.

- بعد فكري أخلاقي وإجتماعي:

وإذا أردنا أن نبرز بعض آرائه و اجتهادانه الإصلاحية الهامة، في الميدان الأخلاقي و العقائدي، يمكن القول بداية، أن الأمير عبد القادر أظهر هذه الجوانب في مختلف مراحل النضالية و العملية، وانعكست في كتاباته. فكل مواقفه تشير إلى ذلك، وبالتالي، فالباحث يندهش من بعض الآراء التي تعتبر الإصلاح الذي قام به الأمير أثناء فترة الحكم، يتميز بالطابع الصوفي، بحيث ترى أن القيم الصوفية في المواقف المختلفة وفي الأوامر، التي أصدرها بشأن الدولة لغرض التسيير والتنظيم 9.

فشخصيته من خلال مسيرته، تدل على رجل مصلح، واقعي، متشبع بالتعاليم الإسلامية السمحة، ومتفتح على العالم بمختلف تطوراته السياسية والعلمية. لقد كان رجل الدولة الذي أشرف بنفسه على بناء عاصمته الجديدة - تاقدامت - سنة 1836 م، وهذا بمختلف منشآتها ومرافقها الحيوية، قال أحد المساجين الفرنسيين: "لو أن عبد القادر أعطي الوقت الإنجاز

أهدافه، لجعل من تقادمت، ليس فقط مركز سلطة، ولكن مركزا علميا أيضا. فقد كان يخطط لإنشاء مكتبة ومدرسة ثانوية 10 .

وفي رأي الأمير، أن الشخص الذي ينوي الإصلاح والتغيير، عليه أن يبدأ ببناء ذاته وتكوين نفسه وإصلاحها، يقول : " إن كل من لم يسلك طريق القوم، ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه، لا يصح له إخلاص، ولو كان أعبد الناس وأورعهم و أزهدهم... فإذا رحمه الله بمعرفة نفسه، صح له الإخلاص 11. فالإنطلاق من الذات مهم جدا بالنسبة له، وإرادة العمل، يسبقها الإعداد القوي للتغيير، فهو يفسر سبب تقهقر المسلمين في العصر الحديث بهذا الجانب، ويربطه بقوله تعالى : " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ". وذكر هذا في كتابه " ذكرى العاقل وتنبيه الغافل 12.

كان الأمير، الرجل الذي محصته التجارب الحياتية، يحاول دوما وبالتحصيل الثقافي والفكري، الذي نشأ عليه منذ صغره، وحتى وفاته بدمشق سنة 1883م، رجلا لا يكل على الإصلاح الذاتي لإصلاح الغير، وكان كلما سئل عن عقيدته أجاب : " إن تقتي في الله كبيرة ". فهو يرى أن الإيمان هو المؤدي إلى تحقيق السعادة : " إذا زال الإيمان، الذي هو سبب السعادة، خلف السعادة ضدها، وهي الشقاوة *

فلا يتم تطهير النفس وتزكيتها الا باتباع تعاليم الله تعالى والإهداء برسله. فلا خلاص الا لمن تعلق بالله تعالى و أخلص في عمله متوكلا عليه. فهو يربط التوكل بالعمل والحركة : " ... فليس التوكل إلا الثقة والطمأنينة، لا ترك الأسباب، مع الشك والإضطراب... فهذا سيد العارفين وإمام المتوكلين صلى الله عليه وسلم، جند الأجناد، وظاهر بين در عين، وحفر الخندق، والآخر قوت سنة، وتداوى... وما ترك سببا إلا فعله . ومن غير شك أن بتناوله لهذه القضية التي تعرضت لتحريفات في مختلف العصور، وفي مجتمعات إسلامية عديدة، يكون قد أعطى التفسير الواقعي والأخلاقي للتوكل والعمل بالمفهوم الحديث في تاريخ الفكر الإصلاحية.

- ولم يقف عند هذا الحد، ففي الجانب الإجتماعي، كثيرا ما حارب الآثام والآفات الإجتماعية المنتشرة، تحقيقا لشروط الأمن والطمأنينة في الدولة الجزائرية التي كان يسعى

لبنائها. أنظر لتفسيره لقوله تعالى : " أفرايت من إتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ". (من سورة الجاثية) : " الهوى ميل النفس إلى ما يضرها أو يهلكها رأسا في الإصطلاح. وأما بحسب الوضع ؛ فهو أعم ... قيل : ما عبد شيء من دون الله - تعالى - أعظم من الهوى. وهو الثائر على الروح في مملكته الإنسانية فيفسدها عليه دائما، فالهوى كالهواء، فراغ. من اتبع الهوى : حصل على الهواء و أضله الله على علم 13 *

في هذا الإطار، والمرتبب بالمجال الإجتماعي، رغم أنه حارب كما قلنا آفات و شرورا اجتماعية، إلا أنه لم يتعرض بالنقد لبعض سلوكات الطرق الصوفية أو بعض الزوايا. هذا السلوك يعكس التعامل الواقعي مع ظاهرة، حاول الإستعمار بأساليبه التغلغل فيها بأساليب معينة. وربما عرض جهوده، في سبيل توحيد الجزائريين، إلى الخطر، جراء محاولات إدارة الإحتلال استغلال أية فرصة لكسر حركته التحريرية والإصلاحية. واعتبر الأمير في كتابه "المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد "بعض السلوكات المنتشرة، والمتعلقة بالدين كمظهر من مظاهر الشرك، حينما يتعرض لقضية "أولياء الله " : "الولاية : القرب من الله تعالى برفع الحجب وإخلاص العبودية اليه، وصدق التوكل عليه... أما اذا قصد العمل الولاية التي معناها : ظهور الخوارق و الكرامات و انتشار الصيت وإقبال الخلق، فهذا لا يشك أحد أنه علة ، بل شركك.14

وتبرز أصالته الفكرية، حينما اهتم بأحد مجالات التغيير والإصلاح، ألا وهو تشجيع المبدعين والعلماء والكتاب على التأليف والكتابة. يرى أنه ما جمعت العلوم، ولا قيدت الحكمة، ولا ضبطت أخبار الأولين، ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة، الا بالكتابة. ولو لا الكتابة، ما استقام للناس دين ولا دنيا. فالكتابة، عين العيون، بها يبصر الشاهد الغائب...". ويقول في موضع آخر : " من الناس، من ينكر التأليف والتصنيف وكتابة العلوم في هذا الزمن. وهذا الإنكار، خطأ. اذ لا وجه لإنكار التصنيف إذا صدر من العلماء الكاملين، البالغين مرتبة التصنيف. وإنما يحمل هذا المنكر على انكاره، التنافس والحسد الجاري بين كل متعاصرين.15

فبفضل الكتابة استطاع الإنسان، في مختلف مراحل التطور البشري، أن يطور العلوم، ويحقق النقلة الحضارية، إن عقل الإنسان الواحد، لا يستطيع استنباط العلوم الكثيرة؛ فالعلوم

إنما كثرت، بإعانة الكتابة. إن أصالة توجهه الإصلاحى، قد نبهت بصفة مبكرة الى قضايا فكرية وعقائدية و عملية، كثيرا ما شغلت، فيما بعد رجالات الإصلاح فى العالم الإسلامى. ومما زاد فى القيمة التاريخية لشخصيته، هو تلك المواقف الشهيرة، التى أعطت الصورة الصافية و السامية، لما ينبغى أن يكون عليه الرجل المصلح والقائد المثالى، المعبر عن الشخصية المسلمة.

فمن المعروف تاريخيا، أن الأمير، أثناء مرحلة المقاومة والمجابهة مع الإستعمار، طلب من جميع أفراد جيشه احترام أسرى الحرب الفرنسىين وحتى المدنيين منهم. حينما كتب الى أسقف مدينة الجزائر قائلا : " أرسل قسيسا الى معسكرى، فسوف لا يحتاج إلى شيء، وسوف أعمل على أن يكون محل احترام وتبجيل، لأنه سيكون له وظيفة مزدوجة، وهى أنه رجل دين وممثل لك ... وسوف يصلى يوميا بالمساجين، ويواسيهم ويتراسل مع عائلاتهم، وبذلك يكون واسطة فى الحصول لهم على النقود والثياب والكتب .16

ولا شك أن الأمير الذى وقف ضد التعصب المذهبى، والذى أظهر سلوكات أصبحت مضرب المثل فى التسامح الإسلامى، يصدر فى مواقفه تلك، عن قناعات عقائدية صافية. فجميع الشرائع السماوية فى نظره تتفق على توحيد الإله و الشفقة والرحمة بمخلوقاته. فهو يرى أن أساس بناء المجتمع، وجوهر منطلقات الأديان، تتمثلان فى دفع وإيجاد روابط المحبة وعلاقات التعاون والتعارف، يقول فى هذا الصدد. : " إن مبنى الإجتماع، وأساس الأديان، هو استعمال ما يوجب المحبة والألفة، فيحصل التناصر والتعاون.17 ..

إن دعوته للتآلف والتعاون لتبرز فى موقفه المشهور من فتنة المشرق سنة 1860م، ما بين المسلمين والمسيحيين، حينما أنفذ أزيد من 15 ألف مسيحي بدافع عقيدته الصافية. إدراكا منه للعواقب والمخاطر التى كانت تهدد بلاد الشام آنذاك، وفى محيط دولى تنافسى بين قوى السيطرة الإستعمارية. وفى هذا المجال، نظرا إجابته لأسقف مدينة الجزائر " : إن الذى قمنا به تجاه المسيحيين، كان واجبا ولزاما علينا فعله، احتراما للعقيدة الإسلامية ومن أجل احترام حقوق الإنسانية. إن شريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) من ضمن جميع

الشرائع، هي التي تدعو أكثر وتعطي أهمية كبرى للشفقة والرحمة، بمعنى كل ما يدعو الى التماسك لإجتماعي، ويحفظنا من النزاع..18

هوامش :

1. الأمير عبد القادر الجزائري: المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد- دار اليقظة العربية – ج1-ط2-
1966ص131
2. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية – جزء 1- المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1992-ص 215
3. شارل هنري تشرتشل: حياة الأمير عبد القادر – تر: د. أبو القاسم سعد الله – الدار التونسية للنشر – تونس –
1974 ص139
4. عن: التصوف والإصلاح عن الأمير عبد القادر- أحمد ملاح-رسالة ماجستير- جامعة الجزائر – 1984-ص98
5. ديوان شعر الأمير عبد القادر – شرح :دمدوح حقي – درا اليقظة – بيروت – ط3- 1964- ص 36.
6. هنري تشرتشل: حياة الأمير عبد القادر – ص 83 (سبق ذكره)
7. Sahli (mohamed chérif) l'emir (A.E.K) mythes français et réalités algériennes – EAP –
Alger1988 :p48
8. في د. سعيد الله: الحركة الوطنية الجزائرية, ج1 – قسم 1- ص 276.
9. أحمد ملاح : التصوف والإصلاح عند الأمير – ص 75.
10. ش.هـ -تشرتشل : المرجع نفسه – ص 75.
11. الأمير عبد القادر: المواقف – ج1 – ص.35
12. الأمير عبد القادر: ذكرى العاقل و تنبيه الغافل – دار اليقظة – دمشق – ص 155.
13. الأمير عبد القادر: المواقف – ج1 : صفحات ك 250 + 194 + 369 + 350.
14. الأمير عبد القادر: المواقف – ص 134 – 135.
15. الأمير عبد القادر: ذكرى العاقل – ص 129

16. عن هنري نثرتشل : حياة الأمير : ص 202.

17. :18 p :N°01-1997 in , itinéraire revue

المحور الخامس:

البيئة الثقافية بالجزائر في الربع الاول
من القرن العشرين

المحور الخامس

البيئة الثقافية بالجزائر في الربع الاول من القرن العشرين

حتى يضمن النظام الاستعماري غزوه الثقافي و الاخلاقي فانه سعى الى تهديم المؤسسات التعليمية الاصلية في الجزائر(مدارس قرانية..زوايا..مساجد) وانشاء مدارس اوروبية بدلها.و لم يكتف بذلك بل عمل على فتح مدارس تنصيرية .فالغزو اصبح اخلاقيا ايضا عن طريق المدرسة كما يقول المؤرخ الفرنسي شارل اجرون.(1)

في عام 1922 كان عدد التلاميذ الجزائريين يشكلون نسبة 6/ من مجموع المتدرسين الاوروبيين في الجزائر.ذكر الامير خالد في سنة 1924 قائلا (نستطيع ان نقول انه و بعد 94 سنة من الاحتلال ,ان تعليم الاهالي هو لا شيء تقريبا او يكاد ينعدم في مناطق عدة من الجزائر.) و اشار الى غلق المدارس القرانية حيث توجد المدارس الاوروبية .(2) و يرى المؤرخ محفوظ قداش ان الادارة الفرنسية في سياستها هذه كانت تريد محاربة اللغة العربية فضاء الهوية, ومنعها من منافسة المدرسة الفرنسية .(3)

و لا شك في ان الادارة الاستعمارية كانت تطبق ايضا الفكرة الاستعمارية للمثقف الفرنسي (الكسي دو توكفيل) الذي حث سابقا(1847) في العمل على تكريس الجهل و الخرافات و الشعوذة بين اوساط المسلمين الجزائريين.(4)

اضافة الى هذا فان هذه الظروف دفعت بالجزائريين في فترات مختلفة الى اتخاذ موقف رفض ارسال ابنائهم الى المؤسسات التعليمية الاستعمارية المختلفة . بسبب وضعية التعليم و اللغة العربية ,لجات عائلات جزائرية الى ارسال ابنائها للتزود الثقافي و التعليمي الى المؤسسات التعليمية الكبرى خارج البلاد ..جامع الزيتونة(تونس) جامع الازهر(مصر)..جامع القرويين(المغرب الاقصى) .و تم تنظيم بعثات تعليمية الى تونس كبعثة ابناء وادي ميزاب سنة1914 , التي كان فيها احد رواد الصحافة الجزائرية الشيخ ابو

اليقظان .كان الامام عبد الحميد بن باديس قد شرع في جهوده الاصلاحية سنة 1913 في مجال التعليم في جامع سيدي الاخضر بقسنطينة

-بروز نخبة جزائرية مثقفة:-

مع نهايات القرن التاسع عشر و بدايات القرن العشرين ,ظهرت مجموعة من المثقفين الجزائريين المتتورين حاولت القيام بدور اصلاحي و ثقافي في ذلك السياق الثقافي . و كانما كانت تسعى للبقاء على شعلة الامل في الاصلاح و النهوض من خلال التعليم و التربية .و سنحاول ذكر اهمهم ..

-عبد القادر المجاوي (1914/1848) و هو من مواليد تلمسان وتراوح نشاطه بين التعليم و التأليف . فنراه يؤلف كتابا سنة 1877 تحت عنوان (ارشاد المتعلمين) وينشره بالقاهرة . داعيا فيه الى ضرورة الربط ما بين علوم الحياة (طب ..هندسة..زراعة...) و علوم الدين.وكان هذا الرائد استاذا بالمدرسة العليا بقسنطينة ثم عين مرة اخرى بالمدرسة العليا بالجزائر.(5)

و يعتبر بحق (استاذ الجماعة) .بحيث كان من رواد الفكرة الاصلاحية بالجزائر وقد نوه به في وقت مبكر كل من الامام عبد الحميد بن باديس و عمر بن قنور الجزائري احد رواد الصحافة الاصلاحية في الجزائر .(6)

-محمد الكمال بن الخوجة (1915-1865) ..من ابرز المثقفين الذين اهتموا بمجال الاصلاح و التنوير .وهو من مواليد مدينة الجزائر كان اماما مثقفا كثير التأليف من اهم مؤلفاته (اقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الاسلام) .و (الاكتراث في حقوق الاناث) .

-محمد السعيد بن زكري (1914/1851)و هو من اصحاب التوجه الاصلاحى .من مواليد ازفون بتيزي وزو .وكان مدرسا معروفا في احد مساجد مدينة الجزائر (جامع سفير) و له كتاب تحت عنوان (اوضح الدلائل بوجوب اصلاح الزوايا ببلاد القبائل)(1905) .

-الشيخ محمد بن يوسف اطفيش (1914-1821) ..كان احد ابرز علماء الجزائر الاباضية ,و هو من مواليد وادي ميزاب بغرداية .كان من العلماء الذين يعملون على التقريب ما بين

المذاهب الاسلامية,ومن المحاربين للجمود و الداعين للاجتهد و من دعاة النهضة و
الاصلا ح في الجزائر .و هو غزير الانتاج الفكري والديني و من مؤلفاته..هميان الزاد ليوم
المعاد في تفسير القران ,في 14 مجلدا.و كتاب ..جامع الشمل في حديث خاتم الرسل .
وكتاب ..شرح معالم الدين وهو في الفلسفة و اصول الدين.
-عبد الحليم بن سماية(1866-1932) و هو من الائمة المصلحين و المثقفين ,ولد بمدينة
الجزائر.كان من الذين استقبلوا الامام المصري محمد عبده لما زار الجزائر سنة 1903
.واشتهر بن سماية بثقافته الاصلاحية و مواقفه الوطنية .له كتاب بعنوان ..فلسفة
الاسلام..الذي قدمه سنة 1905 بمناسبة انعقاد المؤتمر العلمي الدولي للمستشرقين
بالجزائر.(7)

-ظهور الجمعيات الثقافية :

من ملامح هذه الفترة ظهور مؤسسات ثقافية حاولت اعطاء حركية من خلال تنشيط تربوي
و ثقافي و نذكر منها ..

-جمعية الراشدية التي تاسست سنة 1894 بمدينة الجزائر وكان لها فروع في البلاد

الجزائرية.تلقى بها دروس تربوية و محاضرات باللغة العربية و اللغة الفرنسية.

-نادي صالح باي الذي تاسس في مدينة قسنطينة سنة 1908.

-جمعية التوفيقية بمدينة الجزائر 1908 و جمعية الصديقية بعنابة.(9)

-جمعية الشبيبة الاسلامية الجزائرية التي تاسست سنة 1921 بمدينة الجزائر و قامت في

سياق نشاطاتها تاسيس مدرستها الحرة للبنين و البنات في 1923 تحت ادارة عمر بن قدور

الجزائري.

-جمعية المؤاخاة الجزائرية التي اسسها الامير خالد سنة 1922 بمدينة الجزائر لتحسين

الظروف السياسية و الثقافية للشعب الجزائري .و كان يريد لها لان تتحول الى حزب

سياسي حر .

-نادي الترقى بالعاصمة الذي تاسس سنة 1927 تحت رئاسة رشيد بطحوش .و القى عبد

الحميد بن باديس اول محاضرة به تحت عنوان (الاجتماع و النوادي عند العرب) .(10)

هوامش :

- 1-شارل روبيير آجرون : تاريخ الجزائر المعاصرة , ترجمة عيسى عصفور , ديوان المطبوعات الجامعية ,الجزائر , ص 113 .
- 2 - KEDDACHE(mahfoud) :L Emir khaled ,Documents et temoignages ,OPU, alger ,1987,P :161
- 3-KEDDACHE (mahfoud) : histoire du nationalisme algerien (1919-1951) alger ,ENAL,1993,T1,P :41-3
- 4 - in :Tocqueville(alexis) :De la colonie en algerie (bruxelles)1988,P173
- 5- جامعة الجزائر : معجم مشاهير المغاربة , الجزائر , 1995 , ص 473 .
- 6- ساحل (عبد الحميد) : عمر بن قنور الجزائري ,راند الصحافة الاصلاحية بالجزائر منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار , الجزائر , 2014 , ص 69 .
- 7- جامعة الجزائر : معجم مشاهير المغاربة ص 283 .
- 8 - SAADALLAH (abou el kassem) : La montèe du naionalisme en Algerie , traduction : joachim De GONZALEZ,EINAL , alger 1983 P101-143.
- 9- ساحل (عبد الحميد) : عمر بن قنور الجزائري ... ص 131 – 148 .
- 10- المدني (احمد توفيق) : حياة كفاح , مذكرات , دار البصائر , الجزائر 2008 , ج 2 , ص 165 .

المحور السادس:

الصحافة كوسيلة إصلاحية وثقافية

المحور السادس:

1-- الصحافة كوسيلة اصلاحية وثقافية

شكلت الصحافة في بدايات القرن العشرين أسلوبا آخر في نشر الافكار الإصلاحية و التربوية و منبرا ثقافيا لنخبة جزائرية. و كان هذا النشاط الصحفي يستهدف محاربة اليأس و بعث الأمل في المستقبل. فكانت تحت على اصلاح الممارسات الدينية الاسلامية, و على التعليم و بناء المؤسسات الثقافية و التربوية حفاظا على الهوية الجزائرية ومقوماتها.

إن هذا النشاط لم يكن في مناخ سياسي يسمح بارتياح مجالات التنشيط و التوعية بكل حرية. فالصحافة الجزائرية كانت تخضع لسياق قانوني فرضته الادارة الاستعمارية الفرنسية لم يكن له علاقة بروح قانون حرية الصحافة الصادر في 1881 بفرنسا. كان التعامل مع الصحف التي أصدرها الجزائريون يتم بصورة تعسفية خاصة الناطقة باللغة العربية, بدليل انشاء مصلحة الرقابة على الصحافة هذه سنة 1908 بالجزائر. 1.

ملاح من الصحافة الجزائرية

-عمر بن قدور الجزائري (1886/1932): هو رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر. شرع في الكتابة الصحافية سنة 1906. و قام باصدار صحيفة (الفاروق) في 18 فيفري 1913 بمدينة الجزائر كجريدة اسلامية علمية اجتماعية دينية. ثم قامت الادارة الاستعمارية بايقافها و صدر اخر عدد في 22 جانف 1915 و نفي عمر بن قدور الى الصحراء الجزائرية حيث فرضت عليه الاقامة الجبرية لغاية انتهاء الحرب العالمية الاولى. و اعاد هو اصدار (الفاروق) في شكل مجلة 08 اكتوبر 1920 لكنها توقفت عام 1921. 2.

-عمر راسم (1884/1956): إنه من رواد الصحافة الجزائرية الوطنية قام بإصدار صحيفته التي كان يعدها و برسوماتها بخط يده في 05 اكتوبر 1913 تحت عنوان (ذو الفقار) و تم ايقافها في شهر جويلية 1914 بعد صدور خمسة أعداد فقط. و كان من المتأثرين بالمصلح الشيخ محمد عبده. 3.

-الأمير خالد (1936/1875): إلى جانب نشاطه السياسي قام الامير خالد بتولي إدارة صحيفة (الإقدام) التي صدرت في شهر مارس 1919 باللغة الفرنسية تحت إشراف كل من صادق دندن و حاج عمار .وكانت صحيفة للدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين. و قام الامير خالد بإصدار القسم العربي للصحيفة في سبتمبر 1920 .وتوقفت الإقدام عن الصدور في 1923 وتم نفي الأمير خالد خارج الجزائر 4.

عبد الحميد بن باديس (1940/1889): اهتم الإمام بن باديس اهتماما كبيرا بالصحافة في مسار نضاله الإصلاحى الوطنى. فنراه يصدر صحيفة (المنتقد) في 02 يوليو 1925 بقسنطينة و بعد صدور 18 عددا منها , تقرر الإدارة الاستعمارية إيقافها في اكتوبر من نفس السنة .كانت هذه الصحيفة بمثابة إعلان بروز نخبة إصلاحية مثقفة سوف يكون لها دور كبير في الساحة الاصلاحية و الثقافية و وراء تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.5

-أبو اليقظان(ابراهيم بن الحاج عيسى)1973/1888..أحد أهم رجالات الصحافة و الاصلاح في الجزائر.وكانت مسيرته في هذا السياق تعكس إرادة نضالية و صمودا ثقافيا متميزا. قام بإصدار صحيفة (وادي ميزاب) في 1926 و أوقفها الادارة الاستعمارية في 1929 .ثم واصل و لسنوات يصدر الصحف تباعا كلما أوقفها هذه الادارة . أصدر صحيفة (ميزاب) 25 جانفي 1930...صحيفة(المغرب)ماي 1930... (النور) سبتمبر 1931 و صحف (الامة—البستان —النبراس) في سنة واحدة 1933 .و جريدة (الفرقان) 1938 وتوقفت في السنة نفسها 6.

عمر بن قدور الجزائري (1886-1932)--

صحافيا ومفكرا إصلاحيا

كان مسار حياته متّصلاً إتصلاً وثيقاً بممارسته الصحافية التي جعل منها رسالة فكرية انطلاقا من قناعاته العقائدية ومهمّة تنويرية لخدمة الشعب الجزائري والأمة الإسلامية.

هذه الممارسة التي توصلنا حسب بحثنا إلى تحديد بدايتها في مدينة الجزائر سنة 1906 عبر تحريره في الصفحة العربية لجريدة الهلال التي صدرت في تلك السنة، وكان عمره آنذاك 20 (عشرين) سنة، لأنّه ولد سنة 1886. وظهر اسمه أول مرة فيها في 1 ديسمبر 1906. (7)

الاصطدام المبكر بتعسف الإدارة الاستعمارية، جعلنا نعتبره أحد أسباب مغادرته الجزائر ليستقر مدة بتونس حيث ساهم في التحرير بصحيفة " الحقيقة " التونسية سنة 1907. الإقامة هنالك مكنته من التواصل مع النخبة التونسية الصحافية والنهضوية الناشئة، التي سوف يؤكدها بمراسلته لصحف تونسية أمثال " التقدّم " (1908) والمشير (1911)، وذلك بعد عودته للجزائر وإشرافه على القسم العربي لصحيفة " الأخبار " سنة 1908.

بداية سنة 1910، تشكّل انطلاقة حقيقية أخرى، لنشاط صحافي إصلاحى وتنويرى ثرى. حيث عاد إلى جريدة " الأخبار " الصادرة بالجزائر، وحيث سيتولى الإشراف على القسم العربي منها رسمياً في نهاية شهر جويلية من هذه السنة، حيث يمتدّ ويتواصل إشرافه لغاية سنة 1914

ويتوصّل في بداية سنة 1913 من تجسيد أحد أهم هواجسه وانشغالاته الإصلاحية والتنويرية، وهو إصداره لصحيفته "الفاروق ". هو الذي كان يعتبر أنّ الساحة الإعلامية الجزائرية آنذاك، كانت خالية فعلياً من صحافة وطنية جزائرية حقيقية.

ودلّت تجربته الصحافية على مقدرة مهنية كبيرة، خاصة وأنّ تصنيعه لصحيفته (الفاروق) كان يعتمد بالدرجة الأولى على جهوده الفردية، لكن طموحه وثباته المبدئي الإصلاحى

جعله يعمل على تطويرها دومًا، ودون كلل، متخذًا العناية الربانية سندًا عقائديًا لمواجهة مختلف التحديات، واستطاع أن يحوّل هذه الصحيفة إلى منبر إعلامي تنويري، بسبب الحركية الثقافية الإصلاحية والتجاوب الفكري والعملية للنخب المثقفة داخل الجزائر وخارجها بشمال إفريقيا

وننوه بإنشغال المفكر والصحفي عمر بن قدور الجزائري سنة 1913، بهذا الوسيط الإعلامي، ليحوّل من جريدة أسبوعية إلى جريدة يومية تضارع الجرائد اليومية الكبرى، وبهذا يكون قد سبق الأمير خالد* في الطموح الإعلامي هذا. لكن بعد قيام الحرب العالمية الأولى بقليل، وفي نهاية جانفي من سنة 1915 أوقفت الإدارة الاستعمارية صحيفته (الفاروق) وتمّ اعتقاله ونفيه إلى منطقة

الأغواط العسكرية مع الإقامة الجبرية لغاية نهاية هذه الحرب.

كما تثبت، مواصلة الصحفي المفكر عمر بن قدور الجزائري للممارسة الصحافية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، سواء بإصداره للصحف " الصديق " (أوت 1920) أو للسلسلة الثانية من (الفاروق) (أكتوبر 1920)، أو بممارسته الصحافية في صحف كـ: " الإقدام " (1921 إلى 1923) أو " التقدّم " الجزائرية (1923-1924). ثم دعوته للكتابة من جديد في صحيفة " وادي ميزاب " سنة 1927. وكان بالموازاة، بداية من سنة 1923 قد انخرط في مسار إصلاحي آخر هو الممارسة التعليمية.

لقد لمسنا من نصوصه ذلك التلازم أو التكامل ما بين المعالجة النقدية للواقع الجزائري بصفة خاصة والواقع العربي الإسلامي بصفة عامّة والتصوّر الإصلاحي والتنويري لهذا الواقع، الذي قدّم توصيفه النقدي له، من خلال مختلف المساءلات الفكرية والتحليلات أو الإجابات لتفعيل المشروع النهضوي. حتى لا يبقى على مستوى المساءلة والتنظير، بدون تجسيد فعلي وعملي يعيد الأمل في النهوض.

وتحليلنا لمختلف كتاباته الصحافية التي امتدت ما بين 1906 و1927، أدى بنا إلى اعتبار البعد الفكري العقائدي، مكوّنًا تنويريًا أساسيًا، وتشكّل جزء من رؤيته ذات الأطر المرجعية الروحية النابعة من العقيدة الإسلامية.

إنّ التوصيف النقدي الاجتماعي والأخلاقي لمفكرنا عمر بن قنور الجزائري يعكس هموم صحافي مثقّف وفاعل مرتبط بواقع شعبه الجزائري. منشغل بالحاضر الذي هو صورة مأساة أمة ترزح تحت منظومة استعمارية ظالمة، تهدّد بقاءها ومستقبلها. وكان توظيفه لمفهوم " الفوضى الأخلاقية "

وحمل مفكرنا مسؤولية الاستعمار الفرنسي في تفكيك البنى الاجتماعية والدينية للشعب الجزائري، وذلك على الخصوص، عبر الاستيلاء على مؤسّسة الأوقاف الإسلامية، خاصة بعد تطبيق الحكومة الاستعمارية لقانون فصل الدين عن الحكومة (الدولة).

كان يرى أيضا أن النهضة لا تحصل ولا تتحقّق إلاّ بقيم التعارف، التفاهم والتعاون والاجتماع. خاصة بعد وعيه بخلوّ الفضاء الاجتماعي بالجزائر من فرص التواصل والاحتكاك ما بين القوى الفاعلة التي حدّدها، ورأها حتمية في البناء الإصلاحي. فتوظيفه لهذه القيم إنما هو معالجة لما اسماه بالفوضى الأخلاقية والاجتماعية، التي كانت تتمظهر أيضا في داء الاختلاف والجمود السائد فيما بين المثقفين، من علماء دين، ومفكرين وأغنياء.

إنّ تتبعنا بالتحليل لكتابات الصحافية الاستنهاضية والتنويرية، أظهر لنا إنشغالا متواصلًا ومركّزا بقضية جوهرية، تمثل جزء ورهانا حضاريا لقيام النهضة الإصلاحية، ومسألة مصيرية بالنسبة لحاضر ومستقبل الشعب الجزائري. لهذا كانت دعوته ثابتة على مدار سنوات عدّة للاهتمام بتعليم أطفال الشعب، ضحايا الأمة والجهل .

إنّ قطاع العلم والتعليم هو قطاع استراتيجي طويل المدى، فهو رهان لوجود الأمم وتخليص بعضها من الاستعباد والاستعمار. فالعلم بالنسبة إليه مرادف للتحرّر من رقّ العبودية .

ومن جهة أخرى توصلنا إلى اعتبار مفكرنا عمر بن قذور الجزائري، من أوائل الإصلاحيين الذين طالبوا بحق التعليم لأبناء المسلمين الجزائريين، وبحق الأمة الجزائرية في التقدم العصري وهذا منذ سنة 1907 عبر مقال له تحت عنوان [ما ننشد إلا حقوقنا الحياة ! الحياة !]

. وينادي سنة 1914 بمطلب إجبارية التعليم، مع ضرورة فتح مدارس حرّة، مزدوجة اللغة. يكون أحد أهدافها حلّ مشكلات الأميّة وامتصاص البطالة وفتح آفاق نهضوية للأمة، عاكسة لثوابت الهوية الجزائري .

. كان يرى أن أحد ملامح التأخر والخلل في النهوض الحضاري، مقارنة بالدول الغربية الأوروبية، يكمن في حرمان المرأة من التعليم، منبّها في أحد نصوصه (الأخبار سنة 1912) للخلل الحاصل جرّاء تغييب المرأة، هذا العنصر البشري الحيوي في بناء الذات المسلمة المعاصرة.

إنّ مأساة الشعب تتمظهر في الأخطار المحدقة بجميع أطفال الجزائريين، بنين وبناتاً، لهذا فعلى مسؤولية النخب الفاعلة يقع جهل المرأة الجزائرية، الذي هو خسارة للمجتمع الجزائري.

وفي سنة 1913 دعا صراحة لتشكيل هيئة ذات صبغة قانونية تنشط في الميدان الإصلاحي، يكون لديها فروع ونوادي للتواصل مع العوام، وتنتشر مطبوعات تربوية، وتعمل على تعبئة علماء الدين والأغنياء للانخراط فيها.

ثم ابتداء من سنة 1914، وفي خضمّ الإضطرابات السياسية وتوتر العلاقات الدولية، أعلن عن مشروع تنظيمي كبير، لحركة التنوير والإصلاح، يتجاوز حدود المشاريع الهيكلية السابقة، من حيث جغرافيته أو من حيث الأعضاء الذين بإمكانهم تشكيله، وهو مشروع إنشاء: " جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا، تتألف من نخبة مفكرين مسلمي الجزائر وتونس والمغرب الأقصى ". وكان هذا النداء التنويري العملي مدرّج في صحيفته

(الفاروق) تحت شعار نصّ قرآني هو: " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ".

هوامش :

- 1- IHADDADEN (zahir) : Histoire de la presse indigene en Algerie , les Editions ihaddaden , -1 alger , 2edition, 2003 P 61 + 107.
- 2- ساحل (عبد الحميد) : عمر بن قذور الجزائري , رائد الصحافة الاصلاحية في الجزائر, منشورات (آنا ب) الجزائر , 2014, ص 75 – 130 .
- 3- ناصر (محمد) : الصحف العربية الجزائرية (1847 – 1939) , الشركة الوطنية للنشر و التوزيع , الجزائر , 1980 .
- 4- احدادن (زهير) : الصحافة الاسلامية الجزائرية , من بدايتها الى سنة 1930 , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1986 , ص 33 .
- 5- انظر في (محمد ناصر) : الصحف العربية الجزائرية (مرجع سابق) .
- 6- الزبير سيف الاسلام : تاريخ الصحافة في الجزائر , الصحافة العربية بين الحربين 1920 -1940 , الصحافة اليقظانية , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1985
- 7- انظر في (عبد الحميد ساحل) : عمر بن قذور الجزائري , رائد الصحافة الاصلاحية في الجزائر

المحور السابع:

ظهور و تطور المسرح الجزائري

المحور السابع: ظهور و تطور المسرح الجزائري

بدايات المسرح الجزائري وتطوره:

يشير المتخصصون في شؤون المسرح الجزائري,بان اول نص مسرحي عربي حديث نشر بالجزائر كان في سنة 1847 (طبع مدينة الجزائر) .و كان هذا النص قد اكتشفه باحث انجليزي (فيليب سايدغروف) .و عنوان هذا النص هو(نزاهة المشتاق و غصة العشاق في ممدينة طرياق بالعراق).(1)

و من الناحية التاريخية كان اول عرض مسرحي استعماري فرنسي في سنة 1853 ,تحت عنوان (الجزائر او 1830) او الاستيلاء على الجزائر .و لا تخفى دلالة هذا العنوان ذو النبرة الاستعمارية الاستعلائية .

فيما يخص المسرح الجزائري و خضم السياق الاستعماري,فانه يمكن القول تاريخيا ان الطاهر علي الشريف كان قد أسس إحدى الفرق المسرحية و هي جمعية المهذبة سنة 1921 (2) وكان محمد المنصالي مع فرقته ,كان قد قدّم عرضا فنيا من خلال مسرحية (في سبيل الوطن) سنة 1922 باللغة العربية الفصحى ,لكن السلطات الادارية الاستعمارية اوقفت عرضها .كما قام المنصالي بعرض مسرحية اخرى تحت عنوان فتح الاندلس .(3)

و كان اول عرض مسرحي بالدارجة العربية تحت عنوان (جحا) لكل من علالو (علي سلالي1902/1992) و دحمون بمسرح الكورسال بمدينة الجزائر في 12 افريل 1926 و نالت نجاحا جماهيريا .(4)

و في نفس هذه السنة اي في 1926 تم تاسيس الفرقة المسرحية (زاهية)من طرف علالو و رشيد القسنطيني (بيرلخضر رشيد 1887/1944) .ثم توالى اعمال رائد اخر في المسرح الجزائري في التأليف والتمثيل و الاخراج و الغناء,الا وهو محي الدين باشتارزي (1889/1986) .وقد اعطى هؤلاء الرواد للمسرح الجزائري لاطابع الشعبي و الكوميدي,مع الاستقاء من حكايات الف ليلة و ليلة ,احد اهم مصادر التراث العربي .(5)

و اذا كانت الحركة الوطنية السياسة قد انتعشت ببروز شخصية الامير خالد و انشاء حزب نجم شمال افريقيا و انبثاق حركة الاصلاح, فان المجال الفني نفسه قد عرف هو الاخر هذه الحركية, و مساهمة في النهضة الوطنية الثقافية . و في 1927 يقوم كل من جلول باش جراح و علالو بتاسيس فرقة بتسمية ذات دلالة (الهلال الجزائري) 6

نموذج ثقافي مسرحي:

مصطفى كاتب : المسار الفني المسرحي

إن المسار الفني لمصطفى كاتب في الميدان المسرحي بالجزائر ، يبدو لنا كتجربة رائدة بالنسبة لتطور هذا المجال في إبان الفترة الاستعمارية. كان المسرح يمثّل بالنسبة إليه " أهم عنصر في حياته " و رغم مشاهدته لأفلام سينمائية (عربية خاصة) و هو صغير ، بمدينة عنابة في بداية الثلاثينات ، و هو الذي ولد بمدينة سوق أهراس سنة 1920 ، إلا أن إنجذابه كان للمسرح قد برز في وقت مبكر.

أ- بدايات التواصل الثقافي بالفن المسرحي :

بدأت الميول الفنية للمسرح تظهر لدى مصطفى كاتب ، بفضل جمعية مسرحية ثقافية كانت قد أنشئت في الثلاثينات بمدينة عنابة ، و هي جمعية " المزهرة البوني " التي كانت تحت إشراف كل من السيّدين الجنيدي و الجاندي ، و كانا من الشخصيات الثقافية الجزائرية المتشعبة خاصة بالأدب العربي.

بعد انتقال مصطفى كاتب مع عائلته إلى مدينة الجزائر ، سنحت له فرصة حضور و متابعة أول عرض مسرحي لفرقة أحد أعمدة المسرح الجزائري ، ألا و هو محي الدين باش تارزي ، هنالك إعتراه انبهار بذلك العرض الكوميدي ، ذي الإيقاع المتميّز.

و في تلك الفترة يواصل حضور عروض مسرحية كثيرة مثل مسرحية "ياحسراه" لرشيد قسنطيني ،

والمقتبسة عن فيلم " أنجيل " Angel للكاتب و المخرج مارسيل بانيول الفرنسي.

فاكتشف أيضا عبقرية هذا الفنّان ، أي رشيد قسنطيني ، الذي وجده ممتازا في أدائه ، و عملاقا فوق الخشبة ، ذا قدرة متفرّدة على التبليغ و التواصل.

و هذا الولع بالمسرح ، جعله يقترب أكثر من أهله ، و كان باشتارزي صادقا في حدسه ، حينما اعتبر مصطفى كاتب في أحد اللقاءات من " المسكونين " بهذا الفن . من هنا استدعاه للتمثيل في بعض المسرحيات الإذاعية سنة 1938 ، رغم عدم قناعة والديه باختياره هذا . و كانت أول أدواره على الخشبة بمدينة " المدية " في تمثيلية (سكاتش) بعنوان " الطبيب الصقلّي " (7)

ب- النشاط المسرحي لمصطفى كاتب (1940-1953)

بداية من سنة 1940 ، برز أحد ملامح تجربته الفنيّة المسرحية حيث يؤسس مصطفى كاتب فرقة احترافية و هي " المسرح " بهدف العمل على تكوين ممثلين ، و بالتالي اختيار العروض لتقديمها في إطار الجمعيات ، و أفواج الكشافة الاسلاميّة.

و في سنة 1945 ينضم للفرقة هذه كلّ من الفنان علاّل المحب و سيد علي فرنانديل ، و قامت بنشاط مستمر على مستوى قاعة الماجيستيك (الأطلس) بباب الواد.

و إلى جانب هذا ، كان مصطفى كاتب آنذاك مساعدا في عملية الإخراج و من المسرحيات التي أخرجها مع فرقة " المسرح " مسرحية : - آخر بني سراج - و التي اقتبسها عن الكاتب الفرنسي " شاتو بريان "

و تم عرضها في سنة 1946 بقاعة الماجيستيك.

ويبدو أن مصطفى كاتب ، كان له مشروع أو رؤية ثقافية خاصّة ، بحيث في محاولة منه لإرساء أسس مدرسة جزائرية أخرى متميّزة في المسرح و تسهم في ميدان التكوين أيضا ، قام بإنشاء جمعية فنية هي " المسرح الجزائري " سنة 1948 . فكان من الضروري ، حسب رأيه آنذاك ، القيام بتطوير ثقافة مسرحية ، رغم الصعوبات ، و التي كان من أهمّها القمع الإستعماري.

و بالفعل فإن من مظاهر هذا القمع ، هو منع إعادة عرض مسرحيات جزائرية بحتة ، مثل " هنيعل " أو " خالد " .

و في ميدان التمثيل أظهر مصطفى كاتب ، قدرات رائعة ، خاصة حينما عرضت مسرحية " خالد " أو (شمشون الجزائري) سنة 1947 للكاتب الجزائري محمد ولد الشيخ . و هو عرض قدّمته فرقة المسرح البلدي لمدينة الجزائر . و في نفس السنة ، مثل في مسرحية جزائرية هي " في سبيل الشرف " المقتبسة عن مسرحية " في سبيل الوطن " لمحمد المنصالي التي قدّمها سنة 1922 باللغة العربية . و رغم الدور الذي أنيط به كاتب ، بحيث كان قصيرا ، إلا أنه أظهر أنه ممثل كبير حسب الصحافة و في الموسم المسرحي 1948/47 ، لعب في مسرحية " حنيعل " التي ألفها الكاتب و المؤرخ الجزائري أحمد توفيق المدني. و لم يرد مصطفى كاتب الانضمام لفرقة أوبرا الجزائر ، و لا فرقة أوبرا وهران ، فقد فضّل مواصلة مسيرته و تجربته مع جمعية "المسرح الجزائري".

و حينما قام في شهر مارس 1950 بإخراج ملهاة " الساحر " للكاتب الجزائري عبد الله النقلي ، و مثلّ فيها دور الأم ، صرّحت صحيفة " ألجي ريبوليكان " بأن مصطفى كاتب يعتبر بحقّ رجل مسرح. و يتأكد هذا الوصف النقدي ، مع تمثيله الرائع في مسرحية " عطيل " التي اقتبسها أحمد توفيق المدني عن شكسبير ، و قامت الفرقة العربية الجزائرية للأوبرا بتقديمها في ماي 1951.

و لاحظ مصطفى كاتب نقص الكتابات المسرحية ، فلكي يعطي دفعا لحيوية التأليف و الإبداع في الجزائر باللغة العربية ، و ليس بالدارجة فقط ، تنشئ جمعية "المسرح الجزائري" مسابقة لأحسن عمل مسرحي جزائري باللغة العربية ، مع تخصيص جائزة مالية للفائز الأوّل.

و بالفعل تنظّم المسابقة ، بفوز الكاتب عبد الله النقلي بالجائزة الأولى عن مسرحية " الكاهنة " تلك البطلة التاريخية للجزائر . فقام مصطفى كاتب بإخراج هذه الدراما المكوّنة من ثلاثة فصول ، و قدّمت للجمهور سنة 1952 ، فكان حدثا هاما بالنسبة لحركة المسرح الجزائري

،
تعبّر
توجّهات
نضالية
و وطنية واعية لرجل أراد أن يكون " المسرح نابعا من الشعب و يكون في خدمة الشعب " كما قال ذلك كاتب ، في محاضرة ألقاها سنة 1953.

و في سنة 1952 ، و بمدينة وهران ، ساعد في إخراج مسرحية " أه ياخير " لعبد القادر غالي . ثم أخرج مسرحية " سيد الحاج " من تأليف عبد الحليم رايس و مصطفى قزدرلي و قدّمت في أبريل 1953. و يكبر طموحه الفني النضالي ، لإبلاغ العالم بأساة الشعب الجزائري ، فيقوم بالمشاركة بفرقته ، في مختلف المهرجانات العالمية للشبيبة ، خاصة في دول أوروبا الشرقية . ففي هذا المهرجان قال باشتارزي بأن فرقته ، أي فرقة مصطفى كاتب ، حاولت من خلال أعمالها فضح مساوئ الاستعمار الفرنسي في الجزائر .

ج- النضال الثقافي المسرحي .. مرحلة الثورة الجزائرية

و في باريس خمسينات الثورة الجزائرية ، قدّم عروضاً لصالح الجالية الجزائرية المغتربة. و حينما التقى هنالك بأحمد بومنجل ، تمّ الحديث عن إمكانية تأسيس فرقة فنية تكون في خدمة الثورة الجزائرية . و اختتمت الفكرة في مهرجان موسكو للشبيبة سنة 1957 ، خاصة و أنّ لجنة التنسيق و التنفيذ لجبهة التحرير الوطني ، كانت قد قرّرت تأسيسها في نفس السنة . و هكذا بعد العودة من موسكو تأسّست فرقة جبهة التحرير الوطني و تمّ تجميع أعضائها في سنة 1958 . و أظهرت جدّيتها و التزامها الفني ، بحيث في نفس السنة أنتجت مسرحيتين : " نحو النور " كعمل جماعي و "مونسيرا " لإيمانول روبلس.

و تم إخراج المسرحيات التي ألفها الفنان عبد الحليم رايس ، و هي " أبناء القصبه " 1959 " الخالدون " 1960 ، ثم مسرحية " دم الأحرار " في عام 1961. و قال الروائي الطاهر وطار في روايته " تجربة في العشق " : (ولدت "أبناء القصبه و الخالدون" و برزت الإيقاعات و اهتزازات و جدات الأجداد ، فبان الوجه الحضاري للجزائر ، بدأ العالم يتذكر ، أنّ الجزائريين كانوا جزائريين قبل أن يأتي إليهم الفرنسيون)

و قامت فرقة جبهة التحرير الوطني بجولات عديدة لعرض هذه المسرحيات و ذلك في كل من : ليبيا ، الصين ، المغرب ، الاتحاد السوفياتي ، و العراق.

د- الحركة المسرحية بعد استرجاع الإستقلال

بطلب من مسؤولي الكفاح الوطني ، فُكّر مصطفى كاتب في مستقبل المسرح الجزائري بعد استرجاع الاستقلال ، و كان ذلك بداية من 1959.

و هكذا تبدأ انطلاقة جديدة ، بتأسيس المسرح الوطني الجزائري (TNA) . و تعرف مسرحيات رويشد نجاحا كبيرا مثل : " حسان طيرو" و " الغولة " . و تمكنت هذه المؤسسة الفنية ، بالتعريف بقدرات إبداعية أخرى خاصة : ولد الرحمان كافي ، عبد القادر علولة ، الحاج عمار... بحيث تمكن هؤلاء مع مصطفى كاتب من إثراء سجّل الإبداع المسرحي (8) و تماشيا مع هذه الحركة و مقتضياتها الفنية يؤسس مع محمد بوديا " المعهد الوطني للفنون الدرامية " سنة 1964.

لكن مع بداية السبعينات تطفو على الساحة الفنية خلافات بين مصطفى كاتب و مسؤولين عن هذا القطاع ، تمثلت خصوصا في سياسة " لامركزية " المسرح الوطني . و اعترض على هذا المشروع و برّر هذا الموقف قائلا ، أن الوسائل و الإمكانيات المتوفرة آنذاك ، لا تسمح بالتوقف عن هذه التجربة للمسرح الوطني الجزائري.

فمشروع اللامركزية سابق لأوانه . فكان يرى انتظار تخرج دفعات على مستوى معهد برج الكيفان للفنون الدرامية ، لإثراء المسرح بأشخاص مؤهلين . و هذه هي الأسباب التي دفعته للإستقالة من على رأس المسرح الوطني الجزائري ، و كان يقول : " أن المسألة في الخلاف كانت ذات طابع تنظيمي ، و ليس فني " .

و كان المسرح الوطني قد أنتج ثمانية و خمسين (58) مسرحية . و أخرج كاتب لوحده عشر مسرحيات من أهمّها : (أبناء القصبه)، (حسان طيرو)، (الخالدون)، (الجثة

المطوّقة)، (الرجل صاحب النعل المطاطي) . و نال المسرح الوطني في مدّة 08 سنوات كل جوائز مهرجانات مسرح المغرب العربي.

و بعد استقالته ، كُفّ بالتنشيط الفني و الثقافي في الوسط الطلّابي الجامعي من سنة 1974 إلى 1981 .

وكانت " تجربته مع الطلبة جدّ مثرية ، في اكتشافه للقدرات الفنية التي تتمتع بها البلاد " . ثم قام بالإشراف على فرقة المركز الثقافي لولاية الجزائر ، و استدعي في نهاية 1988 للإشراف مجددا على المسرح الوطني . و كان له جهد فنيّ قبل ذلك ، مع حبّه الكبير ، المسرح .

بحيث قدّم سنة 1984 مسرحية " جحا باع حماره " .(9)

توفيّ رحمه الله في 28 أكتوبر من سنة 1989 ، و اعتبره باشتارزي أحد أهم رجالات المسرح الجزائري في فترة بعد الاستقلال. لقد اعتبر المسرح حبّه الكبير ، لعبة ، و هذه اللعبة تدور بين ثلاثة أشخاص : المؤلف ، الممثّل و الجمهور ، و حينما تفشل مسرحية ما ، ينبغي البحث عمّن لم (يلعب) دوره جيّدا.

هوامش :

- 1-انظر في مقدمة مسرحية (ابراهيم دانيوس) : نزاهة المشتاق و غصة العشاق في مدينة طرياق في العراق , تحقيق وتقديم : د . مخلوف بوكروح , طبع مؤسسة الفنون المطبعية الجزائر , 2003 .
- 2- BEN CHENEB (saadeddine) : Le theatre arabe d alger , in revue africaine,N77 ,1935
- 3- BACHETARZI (mahieddine) : Memoires ,1919-1939, sned ,alger 1968 ,tome 1,
- 4- علالو : شروق المسرح الجزائري , مذكرات , ترجمة احمد منور .
- 5- انظر : -123P, ENAL , alger 1984,elements d histoire culturelle algerienne (A E K) Djeghloul
139.
- 6- انظر حول تطور الحركة المسرحية : احمد بيوض , المسرح الجزائري 1926- 1989 , منشورات التبيين , الجاحظية , الجزائر 1998 .
- 7- مجلة : Parcours maghrebins , alger , N 22 , 1988
- 8- مجلة : Parcours maghrebin ,alger,N22,1988
- 9- انظر بتوسع (مخلوف بوكروح) : المسرح الجزائري : ثلاثين سنة مهام و اعباء , منشورات التبيين الجزائر 1995

المحور الثامن:

ملاحم من الفن الموسيقي الجزائري

المحور الثامن :ملاح من الفن الموسيقي الجزائري

رائد أغنية (الشعبي)الحاج امحمد العنقا (1907- 1978)

إذا كانت الموسيقى الشعبية لأي بلد تعبر عن أحاسيس و معاناة وعادات وتطلعات متميزة للشعوب ، في سياق وظروف متباينة ،فإنها من غير شك من المعالم الثقافية التي تعبر عن شخصية الأوطان أيضا .و الموسيقى الشعبية الجزائرية تعكس هذه المعلم في مختلف ألوانها التي تمتد من الأغنية البدوية أو القبائلية أو الأندلسية أو أغنية الشعبي .

ونوع الطرب المعروف بالشعبي ،كرافد أساسي من تراث الموسيقى الوطنية ، يمثل مرحلة جديدة في تطورها وبالتالي إمتداد آخر لتاريخ الثقافة الجزائرية المعاصرة .يمكن اعتبار المرحوم الحاج امحمد العنقا المبدع والمجدد الحقيقي لهذا الطابع الفني .يرى أحد المثقفين الجزائريين : (أنه مع العنقا حدث التحول الفعلي في الموسيقى الجزائرية – على خطى أستاذه الناظور -)1 إنه سوف يتبنى سجلا موسيقيا وسطا ، ذا إيقاع حي ،كان يدور في فلك النمط الاندلسي ،و على الخصوص في نوعي الحوزي و لعروبي ..)2

لقد أكسب العنقا هذا التوجه طابعا مميزا و ساهم في انتشاره ليس فقط في محيط مدينة الجزائر وإنما في المناطق الأخرى من الوطن و خارجه . كما ساعدت وسائط الإتصال كأجهزة الغراموفون عبر شرائط الأسطوانات و ظهور الإذاعة في بداية العشرينات من القرن الماضي في الجزائر ، على بث و انتشار هذا النوع ، موسيقى الغناء الشعبي . و لقد استقى العنقا بالطبع من رافد الأغنية الجزائرية الأندلسية ومن طبع غناء المدح الي برز فيه كل من أستاذه الشيخ مصطفى الناظورو الشيخ عبد الرحمن بوعزوني (كلواش) .

لكن هناك حقيقة تاريخية لا ينبغي تجاهلها ،لأن الفنان امحمد العنقا نفسه ذكرها و هي دور أستاذه الناظورفي إدخال الآلات الوترية على الفرق الفنية في طبع المدح .3

الواقع الاجتماعي والأخلاقي في الإبداع الفني للعنقا :

رغم الشهرة و ذبوع صيته الفني ، بقي العنقا في غنائه مرتبطا بحياة الجزائريين بكل ما تحماه من أحزان وتعاسة ، ولم يتنكر لحيه (القصبة) التي نشأ فيها فيها و خبر فيها معانغة العيش و التعلم من الحياة .

و كان في بعض أغانيه موجها لمن ضل طريق و معترك الحياة إبان الفترة الإستعمارية، فيمكن إذن الحديث عن الجانب الأخلاقي والاجتماعي في فنه . فهو قد اختلط باختلاف الفئات الشعبية ، فهو كما غنى (فني ما هوش من مسيد ما نيش مثقف ، قراني الجوع والحفا) 4.

إن طرب (الشعبي) بالنسبة إليه يعبر عن الروح الشعبية ، بآلامها و أوجاعها ، . يقول لأحد الصحافيين : (في هذا الحي العتيق لمدينة الجزائر (القصبة) كان لي حظ كبير في الإحتكاك برجال من مختلف الفئات ، رجال ذوي ثقافات مختلفة وثرية ، يكمل بعضها البعض . إن اتصالي مع أناس ذوي حالات معيشية متواضعة ، كان مفيدا لذاتي و مثمرا . فهذا التواصل تم تربيته و تكويني . فلا أظنني مبالغا إذا أكدت اليوم أن هذه القصبة العريقة ، والنبيلة كانت داري الثانية ، و مدرستي الثانية .) 5.

لقد كانت مواضيع الأغاني تتماهى مع معاناة الإنسان الجزائري البسيط ، معاناة المعيشة الصعبة داخل البلاد وخارجها . لقد غنى للجاية المغتربة بفرنسا أغنيته (الغربة صعبة) ، و في الثلاثينات من القرن العشرين عاش الشعب الجزائري أزمة مساس بمعالمه الروحية بقسنطينة فكتب و غنى قصيدته (ما ننساوشي هاد المحنة) حينما اعتدى يهودي على حرمة المساجد . 6.

عكست بعض أغانيه أيضا ملامح التدهور الثقافي و الاجتماعي في ظل الإحتلال الفرنسي ، فمثلا القصيدة التي كتبها تحت عنوان (نوحو يا عيوني) تصف الحالة التي آلت إليها البلاد متمثلا المعالم الروحية و العمرانية والوضعية التربوية والفنية بصفة عامة . و مما جاء فيها :

البنيناني حتى ولات معادن الفساد
نوحو يا عيوني على البيان
نوحو على الجوامع غلقت بيانها
نوحو على التقوى غلبوها لمحان
نوكي على العلوم و على تجارها
نوكي على صنایع الحرير والذهبان
تبقى أيضا العناصر ذات الأبعاد الروحية يارزة في ثنایا
مختلف الأغاني أو القصائد التي ألفها أو قام بتلحينها وأدائها ، حيث تدرج في طابع المديح
الديني أو وصف المعالم الدينية (الكعبة المشرفة ، المدينة المنورة) . منها : الله يا ربي ،
امشوق يا كريم سهلي ، محبوبي نمشي لو ، أحسن ما يقال عندي ، لا إله إلا الله سلطنة
الكلام ، الوفاة

إثراء التراث الشعري الغنائي :

إن أحد أهم المنجزات الثقافية للفنان الحاج امحمد العنقا هو أنه لم يكتف بإحياء تراث الشعر
الملحون الجزائري حينما غنى قصائد سيدي لخضر بن خلوف ، سعيد المنداسي ، محمد بن
مسايب ، بن سهلة و غيرهم ، و إنما غنى لفحول شعراء الملحون في الشمال الإفريقي أيضا
خاصة من المغرب الأقصى . كما ساهم هو أيضا في إغناء طرب (الشعبي) بالقصائد التي
كتبها هو بنفسه . و حينما سئل يوما ما عن طبوع الغناء الجزائري ك: البدوي ، الشعبي ،
والأندلسي ، أجاب قائلا بأن البدوي غني بالكلمات فقير في الموسيقى ، و أن الشعبي غني
بالموسيقى فقير في الكلمات ، و الأندلسي غني بالكلمات غني بالموسيقى .
هذا الإثراء الفني و هذا التطعيم الإبدعي في تنويع الألحان يمثل جهدا ثقافيا من حيث أنه
يعكس التفتح على المنتج الشعري التراثي و الحديث ، ويعكس أيضا كيفية انتشار هذا
المنجز الثقافي الجزائري في ربوع الوطن و خارجه . تؤكد مسيرته الفنية
أصالته و شخصيته ، جعلته يؤسس بالفعل لمدرسة موسيقية جزائرية متميزة بحيث تكون
معه فنانون آخرون أولعوا بأسلوبه وبتجديده ، و عملوا كذلك على تشكيل فرق فنية خاصة
بهم :الحاج امريزق ، الحاج منور ، عمار مكراسة ، بوجمعة العنقيس
و بعد استرجاع الإستقلال ، خاض العنقا و قام بمجهود آخرفي مساره الفني و الثقافي ،
حينما أشرف على تكوين عدة تلاميذ بالمعهد الموسيقي البلدي لمدينة الجزائر . كان يريد

تحميل جيل آخر مشعل رافد من روافد الثقافة الجزائرية و قال : (الحمد لله ،بلادنا مستقلة ، لنا شخصيتنا وهذا فخر لنا ، ولا يخفى على أحد ، أن اي بلد مستقل يجب ان يمتلك ثقافته ، ونحن لدينا ثقافتنا ،فإذا كانت غيرمكتملة ، وجب علينا إثراؤها ، إذا كنتغير منتظمة علينا تنظيمها ، و إذا كانت فقيرة ، تحتم علينا إغناؤها و العمل على بثها و نشرها بين الجميع) .توفي الحاج امحمد العنقا في 23 نوفمبر 1978 .كان آخر لقاء له مع الجمهور في حفل بقاعة الأطلس سنة 1976 تاركا بالفعل مدرسة جديدة في الموسيقى الجزائرية المعاصرة .

هوامش :

1-Hadj Ali Bachir : Elanka et la tradition chaabi .www.algerie-dz.com(archive) 12-04-2015

2-حول الطبوع التراثية الموسيقية الجزائرية انظر مقال الدكتور محمود قطاط في مجلة الحياة الثقافية التونسية , عدد 32 , 1984 .

3- in : Rabah Saadallah : Le Chaabi d Elhadj Mhamed Elanka , La maison des livres , Alger , 1986.

4- من قصيدة : سبحان الله يا لطيف , لمصطفى التومي(1937-2013) , غناء و تلحين الحاج محمد العنقى.

5- in : Rabah Saadallah : La Chaabi d Elhadj Mhamed Elanka , La maison des livres , Alger , 1986 .

6- أنظر : ديوان الشيخ الحاج محمد العنقاء (1907-1978) , جمع عبد الهادي العنقاء , طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية , الجزائر 2002 .

قائمة المراجع:

أ. الكتب:

أ. الكتب باللغة العربية:

- 1- الأمير عبد القادر: ذكرى العاقل وتنبية الغافل ، دار اليقظة العربية ، دمشق
- 2- الزبير سيف الاسلام : تاريخ الصحافة في الجزائر, الصحافة العربية بين الحربين 1920-1940 الصحافة اليقظانية , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر 1985 .
- 3- محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية (1847-1939) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980 .
- 4- محمد ناصر: عمراسم المصلح الثائر, طبع لافوميك الجزائر 1984
- 5- أبو عمران الشيخ : (تنسيق) معجم مشاهير المغاربة ، جامعة الجزائر ، 1985
- 6- آجرون (شارل روبير) : تاريخ الجزائر المعاصرة , تر: عيسى عصفور ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ،
- 7- إحدادن (زهير) : بيبليوغرافيا الصحافة الجزائرية , الصحافة الاسلامية الجزائرية من بدايتها الى سنة 1930 , المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر, 1986 .
- 8- الامير عبد القادر الجزائري : المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد ، دار اليقظة العربية، ج 1 ، ط 2 ، 1966 .
- 9- التميمي (عبد الجليل) : بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (ليبيا، الجزائر، تونس) الدارالتونسية للنشر، تونس ، 1972
- 10- التميمي (عبد الجليل) : وثيقة عن الاملاك المحبسة بإسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، عدد 5 ، تونس ، 1980
- 11- حمدان خوجة : المرأة ، ترجمة وتقديم محمد العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982

- 12-المدني (أحمد توفيق) : حياة كفاح ،مذكرات ،دار البصائر ، الجزائر ، ج 2 ، 2008
- 13-بوكروح (مخلوف) : المسرح الجزائري (ثلاثين سنة) مهام و أعباء ، منشورات التبئين ،
الجزائر1995
- 14-بيوض (أحمد) : المسرح الجزائري 1926 – 1989 ، منشورات التبئين ،الجزائر،1998
- 15-جلول يلس : التراث الغنائي الجزائري،الموشحات و الأزجال ،وزارة الإعلام الجزائر1975-82
- 16-جيمس ستيفنس : الأسرى الأمريكان في الجزائر 1795-1796 ، ترجمة علي تابلت ، ثالة الجزائر
2007,
- 17-حالو عبد الهادي :ديوان الشيخ الحاج محمد العنقاء، طبع الرغبة الجزائر، 2002
- 18-دنينوس (أبراهام) : نزهة المشتاق و غصة العشاق في مدينة طرياق في العراق ،(مسرحية جزائرية
1847)،(أول نص مسرحي عربي حديث)، تحقيق و تقديم : مخلوف بوكروح ، ENAG الجزائر2003
- 19-زوزو (عبد الحميد) : نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1900)، OPU
الجزائر2007
- 20-ساحل (عبد الحميد) : عمر بن قنور الجزائري رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر ، ANEP ،
الجزائر2014 .
- 21-سعد الله (أبو القاسم) :الحركة الوطنية الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ج 1 ، 1992
- 22-سعد الله (ابو القاسم) :تاريخ الجزائر الثقافي ،دارالغرب الإسلامي ، بيروت ، الجزء الأول ، 1998
- 23-سعد الله (أبو القاسم) : الحركة الوطنية الجزائرية ، دارالآداب ، بيروت ، ط1، 1969
- 24-علالو(علي سلاي) : شروق المسرح الجزائري ،مذكرات ،تر: أحمد منور ،الجزائر
- 25-علمي (سعيد)(Almi) :الإستعمار و العمران ،السياسات الإستيطانية و العمران في الجزائر ،ج1+ج2
، دار خطاب ، الجزائر 2013 (ترجمة)

26-محمد أبوراس الجزائري : فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته ،تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990

27-محمد بخوشة : ديوان سيدي الأخضر بن خلوف ، تقديم : جعلوك عبد الرزاق ،نشر إين خلدون، تلمسان – الجزائر 2001

28-مصطفى الأشرف : الجزائر ، الأمة و المجتمع ،ترجمة حنفي بن عيسى ، ENAL ، الجزائر 1983

29-هنري تشرتشل(شارل) : حياة الأمير عبد القادر – تر: أبو القاسم سعد الله ،الدار التونسية للنشر ،تونس 1974 .

ب. الكتب باللغة الأجنبية

1-IHADDADEN (Zahir) : histoire de la presse indigene en Algerie , ENAL , Alger 1983 .

2- SAHLI (mohamed cherif) : L Emir abdelkader ,mythes français et réalités algeriennes .EAP alger 1988 .

3-AGERON (ch ,R) : Les algeriens musulmans et la France (1871- 1919) T2

4-BACHTARZI (Mahieddine) : MEMOIRES . 1919 -1939. SNED . alger. 1968

5-BENCHENEB(Saadeddine) : Théâtre arabe d alger . revue africaine. 1935

6-DE PARADI (venture) : Alger XIII siecle , edition Bouslama , Tunis

7-DJEGHLOUL (A E K) : Elements d histoire culturelle algeriennes – ENAL – ALGER 1984

8-HADJ-ALI (bachir) : ELANKA et la tradition CHAABI. [Algerie-dz.com\forums\culture](http://Algerie-dz.com/forums/culture)

9-KADDACHE (mahfoud) : L emir khaled ,documents et temoignages ..OPU alger 1987

11-KHALDI (abdelaziz) : Le Probleme algerien devant la conscience democratique , ANEP ,

Alger , 2006 .10-SAADALLAH (aboukassem) : LA montée du Nationalisme en Algerie , Trad : joachim DE gonzalez , ENAL , alger, 1983

12-SAADALLAH (RABAH) : Le CHAABI d Elhadj Mhammed ELANKA . La maison du livre .alger 1985

13-TOCQUEVILLE (alexis de) :De la colonie en Algerie , Bruxelle ,1988

14-TURIN (yvonne) : Affrontements culturels dans l Algerie coloniale. ENAL ; Alger 1983

II . الرسائل الجامعية:

-ساحل (عبد الحميد): الفكر الإصلاحي لعمر بن قدير الجزائري، دراسة تحليلية لمقالاته-
الصحفية(1906 – 1927) (رسالة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال) جامعة الجزائر3 (2011) –
(2012)

III . المجلات:

- مجلة الثقافة – الجزائر العدد90,1985

- مجلة الحياة الثقافية, تونس, عدد 32,1984

الفهرس:

- 4.....: مقدمة
- المحور الأول : ملامح من البيئة الثقافية و الاجتماعية في الجزائر قبل 1830 7
- مؤسسات ثقافية و دينية 7
- مؤسسات تعليمية 10
- مؤسسة المكتبات 11
- المحور الثاني : سياسات إستعمارية : إجتماعية و ثقافية 15
- السياسة التعليمية الإستعمارية 16
- المحور الثالث : شخصيات ثقافية من القرن 19 م . حمدان بن عثمان خوجة (1773-1845) : الأبعاد الفكرية و الثقافية 21
- البعد الإجتماعي و الديني 22
- أبعاد فكرية سياسية 22
- المحور الرابع : شخصيات ثقافية جزائرية من القرن 19 م . الأمير عبد القادر (1808-1883) : أبعاد فكرية و إصلاحية..... 27
- جهود إصلاحية سياسية 27
- البعد الفكري و الأخلاقي و الإجتماعي 29
- المحور الخامس : البيئة الثقافية بالجزائر في الربع الأول من القرن 20 37
- بروز نخبة جزائرية مثقفة 38
- ظهور الجمعيات الثقافية 39
- المحور السادس : الصحافة كوسيلة إصلاحية وثقافية 43
- ملامح من الصحافة الجزائرية (أهم الفاعلين الرواد في النشاط الصحفي)..... 43
- نموذج : عمر بن قنور الجزائري (1886-1932) : صحافيا و مفكرا إصلاحيا..... 45

- 52.....المحور السابع : ظهور و تطور المسرح الجزائري.....
- 52.....-بدايات المسرح الجزائري و تطوره.....
- 53.....- نموذج ثقافي مسرحي : مصطفى كاتب (1920-1989) : المسار الفني المسرحي.....
- 61.....المحور الثامن : : ملامح من الفن الموسيقي الجزائري.....
- 61.....رائد أغنية (الشعبي) الحاج محمد العنقا (1907 - 1978).....
- 62.....-الواقع الإجتماعي و الأخلاقي في الإبداع الفني للعنقا.....
- 63.....- إثراء التراث الشعري الغنائي.....

مراجع المطبوعة

الفهرس